أعلام السنة المنشورة في صفات الطائفة المنصورة

الجزء الأول

عبد الرحمن العلي

الطبعة الاولى*

* ملاحظة: لم نتمكن من تصحيح الاخطاء المطبعية في هذه الطبعة؛ فنرجو المعذرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا, ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله: فلا مُضل له، ومن يُضلل: فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

* قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [آل عمران: 102] .

* وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا الله الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً } [النساء: 1] .

* وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً } [الأحزاب: 70_ 71] .

أمّا بعد:

فإن أصدقَ الحديث: كتابُ الله، وخير الهدي: هديُ محمد صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمور: محدثاتها، وكل محدثة: بدعة، وكل بدعة: ضلالة، وكل ضلالة في النار .

* قال الله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ الله الإِسْلامُ} [آل عمران: 19] .

* وقال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ }[آل عمران: 85].

فالإسلام: دين الله الذي لا يَقبل غيرَه، ولا يُتعبّد له إلا به، فلا دين له سواه .

وقد انزل الله هذا الدين مهيمناً على الاديان كلها، وجعله الدين الخاتم، ولذا: فقد اكمله الله واحكمه لتقوم حجته على العالمين في كل عصر ومصر بأن لا يعبدوا إلا الله وحده لا شريك له، وبأن لا يعبدوه إلا بما شرع .

وقد اودع اللهُ هذا الدين من مكنون الاسرار، ودقائق الكمال، وخفايا الإحكام ما يجعل هذا الدين كلّما اعتراه الضعف بل الوهن الشديد الذي يظن معه الناظرون انه على وشك أن يلفظ أنفاسه: ينتفض اقوى ما يكون، محطماً كل ما ومَنْ يقف امامه، متخطياً حواجز الزمان والمكان، مجدداً عهود العز والتمكين وكأن هذا الوهن من اسباب قوته, ومبررات صلابته وصموده ! .

فللإسلام: قوة ذاتية في مواجهة المحن, والبلايا والاخطار التي تنزل بساحته مهما اشتدت قسوتها تجعله يخرج منها اقوى عوداً، واصلب قناة مع جدّة وصفاء، وقد شهد بهذه القوة الذاتية للإسلام اعداؤه قبل ان ينطق بها اتباعه .

والسرّ في هذا كله: ان الإسلام لا يتمحور حول اشخاص، ولا يُختزل في رجال، ولا يَستمد وجوده من عدد وعُدّة، وقوة وضعف، وإنما الإسلام يستمد وجوده، واسباب قوته، ومبررات صلابته وصموده من الله وحده الحي الذي لا يموت:

* قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر: 9] .

فالله تعالى ذكره, وجلّ أمره: تكفّل بحفظ هذا الدين، وأوكل هذا الأمر العظيم لنفسه، فأنّى أن يأتي الضياع أو يُتصور ؟!!!.

ومن الأمور التي تكفّل الله بها وجعلها من أسباب حفظ هذا الدين: أن يُقيّض له رجالاً: يصنعهم على عينه، ويكلؤهم بحفظه وتوفيقه، ويمدهم بمدد من عنده: فيحفظوا هذا الدين، ويقوموا به، ويجددوا ما اندرس منه .

وقد تكفل الله _ كذلك _ بمنه, وكرمه ولطيف صنعه أن تكون هذه الثلة المنتقاة، والنخبة المصطفاة: باقيةً في الأمة إلى قيام الساعة، فلا يخلو منها عصر من الأعصار ولا زمن من الأزمان .

* قال تعالى: {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ } [الأعراف: 181] .

وهذه " الأمة " من الرجال: أهل هذه الثلة المنتقاة, والنخبة المصطفاة: هم صفوة الخلق بعد الأنبياء, والمرسلين لأنهم ورثة الأنبياء, والمرسلين إذ هم القائمون بأمر الله وما يحبه ويرضاه .

* قال تعالى: { وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } [التوبة: 100] .

ولذلك؛ تكفّل الله بحفظهم وتأييدهم ونصرهم، وجعلهم قاهرين, ظاهرين على عدوهم ومَنْ خالفهم .

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك "(1) .

ـ ومن ثم؛ فهؤلاء الرجال, أهل هذه الثلة المنتقاة، والنخبة المصطفاة_: هم الطائفة الظاهرة المنصورة التي تكفّل الله بوجودها في الأمة إلى قيام الساعة تحقيقاً لأمره في حفظ هذا الدين، وبقاء حجته في الخلق .

وقد ترجم ابن حبان_ رحمه الله_ لحديث الطائفة المنصورة في صحيحه بقوله: " ذكر البيان بأن الفتن إذا وقعت والايات إذا ظهرت: **كان في خلله طائفة على الحق أبداً** "(2) .

وقال ابن حزم _ رحمه الله_ بعد أن ذكر حديث الطائفة المنصورة:

[فصح أن أهل كل عصر **لا يجوز أن يخلوا من أن يكون فيهم قائلٌ بالحق**](3) .

وقد ذكر ابن حزم_ أيضاً_ أن أحاديث الطائفة المنصورة دالةٌ على: [أن أمته عليه السلام لا تجتمع ولا ساعة واحدة من الدهر على باطل بل **لا بد أن يكون فيهم قائل بالحق, وقائم به**](4) .

---

1) يأتي تخريج احاديث الطائفة المنصورة في مواضعها_ إن شاء الله_, وقد صرّح عدد من اهل العلم, والائمة بتواتر حديث الطائفة المنصورة كشيخ الإسلام ابن تيمية في " اقتضاء الصراط المستقيم/6 "، والسيوطي في "قطف الازهار المتناثرة/216 "، والزبيدي في "لقط اللالئ المتناثرة/68 ", والكتاني في "نظم المتناثر/93 "، وغيرهم .

(2) "صحيح ابن حبان/248/15 " .

(3) " المحلى/47/1 " .

(4) " الإحكام/527/4 " .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: [فعُلم بخبره الصدق أنْ لا بد أن يكون في أمته قوم متمسكين بهديه الذي هو **دين الإسلام محضاً**](1) .

وعند شرحه لحديث معاوية_ رضى الله عنه_ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من يُرد الله به خيراً يُفَقَّه في الدين، وإنما أنا قاسمٌ والله يُعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله "(2) .

قال الحافظ ابن حجر_ رحمه الله_: [وهذا الحديث: مشتمل على ثلاثة أحكام أحدها: فضل التفقه في الدين، وثانيها: أن المعطي في الحقيقة هو الله، **وثالثها: أن بعض هذه الأمة يبقى على الحق أبداً**](3) .

ونقل السيوطي عن القاضي عبد الوهاب من المالكية_ رحمهما الله_ قوله: [تواترت الأخبار عنه صلى الله عليه وسلم بقوله: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم خلاف من خالفهم حتى يأتي أمر الله "، فأعلمنا صلى الله عليه وسلم بذلك: **أنه لا يخلو عصر من أعصار المسلمين من قائم لله بالحق، وداع إلى الهدى**](4) .

وقال المناوي_ رحمه الله_ بعد ذكر أحد أحاديث الطائفة المنصورة: [وفيه أن هذه الأمة آخر الأمم, **وأنه لا بد أن يبقى منها مَنْ يقوم بأوامر الله حتى يأتي أمر الله**](5) .

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب_ رحمه الله_ عقب سوقه لحديث الطائفة المنصورة من رواية ثوبان: [التاسعة: البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى بل لا تزال عليه طائفة](6) .

_ فأهل الطائفة المنصورة: غرسُ الله في أرضه وبين عباده، يستعملهم الله في طاعته، وينفذ من خلالهم قدره في حفظ هذا الدين, ونصره والتمكين له، وإظهاره على الدين كله؛ فهم: ستارٌ لقدر الله لا غير .

* قال صلى الله عليه وسلم: " لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته "(7) .

وإذا كان هؤلاء: هم غرس الله كما وصفهم بذلك المعصوم صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى؛ (فغرسُ الله: محروسٌ في الأحوال, ومحفوظٌ في الأصلاب والأرحام ومُراعى في قطع الأسفار إليه: يكلؤه ويرعاه .

---

(1) " اقتضاء الصراط المستقيم/6 " .

(2) " البخاري39/1 " .

(3) "فتح الباري164/1 " .

(4) " الرد على من اخلد إلى الارض/108: 109 " .

(5) "فيض القدير396/6 " .

(6) "فتح المجيد/278 " .

(7) " ابن ماجه5/1 ", " الثقات75/4 " من حديث ابي عنبة الخولاني, وقال في " مصباح الزجاجة5/1 ": [هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات], وانظر: "تحفة التحصيل/371 ", " جامع التحصيل/314 ", " الاستيعاب1722/4: 1723 ", " الإصابة238/7: 239 " .

وهم: رجاله في أرضه وأولياؤه والدّعاة إليه, وغرسُ الله: راسخةٌ عروقُه في الأرض ووارِدةٌ فروعُه في الملكوت غَرَسهم الله تعالى وأنبتهم, وهو يجني ثمرتهم)[1] .

ـ ـ أهمية معرفة صفات هذه الطائفة والوقوف عليها .

وإذا كانت هذه الطائفة بهذا الشأن العظيم، وبهذه المنزلة الرفيعة من الدين: وجب على العاقل أن يسعى في الانضمام إليها، والتشمير عن ساعد الجد بغية اللحوق بها ليكون من أهلها, وفرداً من أفرادها، وإنما يكون ذلك بحمل النفس على جميل صنعها، وحسن فعالها، والتأسي بأحوالها .

فأهل الطائفة المنصورة: لم يكتسبوا ما اكتسبوا من شأن عظيم، ومنزلة رفيعة في الدين، وعزّ في الدنيا والآخرة: إلا بما قام بهم من صفات حملوا النفوس عليها، وجاهدوها على الاتصاف بها رغبةً فيما عند الله, والدار الآخرة .

فسبيل مَنْ أراد الانتساب إليهم لينتظمه عقدُهم، ويضمه ركبُهم، ويشمله وصفُهم: أن يتحلى بصفاتهم؛ فيحمل نفسَه على ما حملوا نفوسهم عليه,ويجاهدها على ذلك رغبةً فيما عند الله, والدار الآخرة .

وممّا لا شك فيه أن الإخبار عن وجود هذه الطائفة وبقائها في الأمة: بشارةٌ عظيمة لأهل الإسلام إذ هو وعد قائم لا يتخلف، وقدر نافذ لا مردّ له؛ ومَنْ ذا الذي يملك أن يرد قدر الله أو يدفعه غير أنّ لله في خلقه سنناً تحكم ظهور الحق والتمكين له؛ وعمادُ ذلك: أنّ الحق لا بد له من رجال يتمثلونه في أنفسهم ويمثلونه واقعاً حياً يحس به ويَلمسه كلُّ مَنْ رآه أو سمع به؛ ولذا: فإن هذا الوعد الإلهي بوجود هذه الطائفة وبقائها: يحمل في ثناياه تكليفاً شرعياً للأمة, وأبنائها ليخرج منهم مَنْ يجعلهم الله ستاراً لإنفاذ قدره في وجود هذه الطائفة وبقائها؛ ومن ثم: نصرُ الدين والتمكين له؛ فالوعود الربانية: تكاليف شرعية يُخاطب بها محلُ الوعد وأهله .

ـ أمر آخر تظهر من خلاله أهمية معرفة صفات الطائفة المنصورة وهو: تصحيح النسبة وإقامة البينة، أعني: تصحيح نسبة كثير من الناس إلى هذه الطائفة الظاهرة المنصورة, وإقامة البينة على ذلك حيث يزعم الكثيرون أنهم أحق بها وأهلها، وحقيقة الحال أنّ نسبتهم إلى هذه الطائفة كنسبة الثرى إلى الثريا، فالدعوى: عريضة والعجز: ظاهر، والله المستعان .

ومن ثم؛ كان الوقوف على صفات الطائفة المنصورة التي وصفها الشارع بها، وميّزها بها عن غيرها، واكسبها بها ما اكتسبت من نصر وظهور، وجعلها اساساً ومناطاً لرفعتها في الدنيا والاخرة: من اهم المهمات، واولى الواجبات، والله يهدي مَنْ يشاء إلى صراطه المستقيم .

ــ وصفات الطائفة المنصورة_ كما سيظهر معنا_ متداخلة، بمعنى ان بعضها يدخل في البعض الاخر كما ان بعضها_ كذلك_ يستلزم البعض الاخر كما يستلزم غير ذلك من الصفات إلا اننا اثرنا الحديث عن اهم, وابرز الصفات التي تُميّز الطائفة المنصورة عن غيرها كما تدلّ عليها, وترشد إليها احاديثُ الطائفة المنصورة متجاوزين بذلك الاعتبارات المختلفة لهذه الصفات .

---

(1) "نوادر الاصول381/1 " .

وقاعدتنا التي نجري عليها في النقل هي ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله:

[وليس كل من ذكرنا قوله من المتكلمين, وغيرهم نقول بجميع ما يقوله في هذا وغيره, ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به حتى ولو كان كافراً](1) .

وسيأتي مزيد بيان لهذه القاعدة عند حديثنا عن معالم الحق عند الطائفة المنصورة، وقد أكثرت من النقول عن أهل العلم, والأئمة المتقدمين إيثاراً للتأصيل العلمي على العرض الإنشائي كما كررت بعض النقول رغبة في أن تكون الفكرة كاملة حيث عرضت, ولِما في ذلك من الأهمية في ترسيخ الفكرة في العقول, والقلوب، وجرياً على قاعدة القرآن الكريم في تكرار المعاني، وإعادة عرضها وبسطها المرة تلو المرة, وقد جاءت أبحاث هذه الرسالة أبحاثاً مطولة وهو ما قصدنا إليه محاولة لاستيفاء هذه الأبحاث حقها من البحث, والتأصيل كونها اليوم أقرب للأحاجي, والألغاز_ مع وضوحها الشديد في نفسها_ من المقررات الشرعية الثابتة .

وقد جهدتُ أن أنتصر لما جاء به صلى الله عليه وسلم وحده, وفهمه عنه أئمة هذا الدين من سلفنا الصالح دون ما جاء به الرجال_ أيّاً كانوا_ من عند أنفسهم رضي مَنْ رضى, وسخط مَنْ سخط إذ رضا الناس غاية لا تدرك, ومهما أرضيت فئة: أسخطت أخرى ولا بد؛ فكان من بدائه العقول_ فضلاً عمّا أوجبه الشرع_ إيثار رضا الله وحده, وإيثار ما يبقى على ما يفنى, فإنْ أصبتُ: فالفضل لله وحده هو الموفق, والمعين, وإنْ أخطأتُ: فمن نفسي, والشيطان؛ وشرع الله, ودينه: بريء منه, وحسبي أنّي قصدتُ الحق, وسعيتُ إليه بقدر الجهد, والإمكان, ولم يدر في خلدي غير الانتصار لهذا الدين, والذود عن حياضه والله من وراء القصد .

---

(1) " الفتاوى5/101 " .

ـــ تنبيه هام:

حديثنا عن صفات الطائفة المنصورة إنما هو باعتبار مجموع الطائفة لا باعتبار آحادها؛ بمعنى: أن هذه الصفات مجموعةً توجد في مجموع الطائفة وإن لم تتحقق في كل فرد من أفرادها؛ فالنظر إنما هو للطائفة كمجموع لا كآحاد، فمجموع الطائفة يقوم بمجموع الصفات، ولا يلزم من ذلك قيام مجموع الصفات بكل فرد من الأفراد .

ونصيب الفرد من الانتساب إلى الطائفة المنصورة_ زيادةً ونقصاً_ إنما هو بحسب نصيبه الذي قام به من صفات هذه الطائفة إذ أن هذا الوصف (الطائفة المنصورة): هو كوصف: (الإسلام، والإيمان، والإحسان) أو كوصف: (الهدى، والتقي، والبر، والفلاح ...)، وغير ذلك من الأوصاف التي يتعلق بها الوعدُ في ديننا: كلها أوصاف متفاضلة في ذاتها ممّا يُفيد أنّ المنتسبين لهذه المسمّيات الشريفة: يتفاضلون_ زيادةً ونقصاً_ في الانتساب إليها بحسب ما قام بكل منهم من شعبها الظاهرة والباطنة، وهم في ذلك بين: مقل، ومستكثر مع كون بعض شعب هذه المسميات: شعباً حدّيّة؛ بمعنى: أنّ تخلّف هذه الشعب: يُخرج مَنْ تخلفت عنه من دائرة المسمى والانتساب إليه .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_ في تفسير قوله تعالى: {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ }، قال:

[وهؤلاء أئمة الهدى، ومصابيح الدجا، وهم الذين أنعم الله عليهم بالإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر .

وهم الصدّيقون الذين مرتبتهم تلي مرتبة الرسالة، **وهم في أنفسهم: مراتب متفاوتة؛ كلٌّ بحسب حاله، وعلو منزلته؛** فسبحان من يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم](1) .

وقال الحافظ ابن حجر_ رحمه الله_ نقلاً عن النووي_ رحمه الله_ ثم معقباً عليه:

[يجوز أن تكون الطائفة: جماعة متعددة من أنواع المؤمنين: ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقيه ومحدث ومفسر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد، وافتراقهم في اقطار الارض، ويجوز ان يجتمعوا في البلد الواحد، وان يكونوا في بعض منه دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم: أولاً، فأولا إلى ان لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء امر الله، انتهى ملخصاً مع زيادة فيه .

ونظير ما نبّه عليه ما حمل عليه بعض الائمة حديث: " إن الله يبعث لهذه الامة على راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها "؛ انه لا يلزم ان يكون في راس كل مائة سنة واحد فقط بل يكون الامر فيه كما ذكر في الطائفة، وهو متجه، فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من انواع الخير، ولا يلزم ان جميع خصال الخير كلها في شخص واحد إلا ان يُدعى ذلك في عمر بن عبد العزيز فإنه القائم بالامر على راس المائة الاولى باتصافه بجميع صفات الخير وتقدمه فيها ومن ثم اطلق احمد انهم كانوا يحملون الحديث عليه، واما مَنْ جاء بعده؛ فالشافعي وإن كان متصفاً بالصفات الجميلة **إلا انه لم يامر بالجهاد، والحكم بالعدل**؛ فعلى هذا كل مَنْ كان متصفاً بشيء من ذلك عند راس المائة: هو المراد سواء تعدد ام

---

(1) "تفسير السعدي/207 " .

لا](1).

قلت: يشير الحافظ_ رحمه الله_ إلى حديث أبي هريرة_ رضي الله عنه_ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة مَنْ يجدِّد لها دينها "(2) .

(ولفظ "مَنْ " في الحديث يُطلق على الفرد، وعلى الجماعة؛ فيحتمل المعنى أن يكون المبعوث فرداً، ويحتمل أن يكون جماعة أو طائفة؛ فإن كان المجدِّد فرداً؛ فلا بدَّ أنه من الطائفة المنصورة وهذا ممّا لا يحتاج إلى بيان، وإن كانت مهمة التجديد موكولة إلى فئة؛ فهي الطائفة المنصورة_ بلا ريب_، وذلك لأن خصائص هذه الطائفة هي الخصائص التي يُحتاج إليها في تجديد الدين لهذه الأمة)(3) .

_ وعليه، فقد يَمنّ الله سبحانه وتعالى على مَنْ يشاء من عباده فيجمع له كل شعب المسمى أو أكثرها ليكون من السابقين السابقين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

* وقد أخرج الإمام مسلم_ رحمه الله_ في صحيحه عن أبي هريرة_ رضي الله عنه_ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ' من أنفق زوجين في سبيل الله؛ نودي في الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة: دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد: دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة: دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام: دعي من باب الريان .

قال أبو بكر الصديق_ رضي الله عنه_: يا رسول الله، ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، **وأرجو أن تكون منهم** "(4) .

* وأخرج الإمام مسلم_ كذلك_ عن أبي هريرة_ أيضاً_، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ' من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ .

قال أبو بكر_ رضي الله عنه_: أنا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ .

قال أبو بكر_ رضي الله عنه_: أنا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ .

قال ابو بكر_ رضي الله عنه_: انا .

---

(1) " الفتح 295/13 " .

(2) " المستدرك 567/4 "، " ابو داود 109/4 "، " المعجم الاوسط 324/6 "، وغيرهم، وهو حديث اعتمده الائمة، ونص على صحته العراقي، وغيره، انظر: "فيض القدير 282/2 "، "كشف الخفاء/282 " .

(3) "صفة الغرباء/173 " .

(4) "مسلم 711/2 " .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فمن عاد منكم اليوم مريضاً ؟ .

قال أبو بكر_ رضي الله عنه_: أنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما اجتمعن في إمريء إلا دخل الجنة "(1) .

وقد ترجم النووي_ رحمه الله_ لهذه الأحاديث بقوله: [باب: مَنْ جمع الصدقة وأعمال البر](2) .

---

(1) "مسلم713/2 " .

(2) " صحيح مسلم711/2: 713 " .

الباب الأول

الصفة الأولى

كونها طائفة من الأمة

ـــ تمهيـــد .

* عن جابر بن عبد الله_ رضي الله عنه_، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لا تزال **طائفة من أمتي** يقاتلون على الحق: ظاهرين إلى يوم القيامة "(1) .

* وعن ثوبان_ رضي الله عنه_، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تزال **طائفةٌ من أمتي** ظاهرين على الحق، لا يضرُّهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك "(2) .

* وعن المغيرة بن شعبة_ رضي الله عنه_ عن النبي صلى الله عليه وسلم, قال:

' لا تزال **طائفة من أمتي** ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون "(3) .

فثبت وصف هؤلاء الظاهرين القائمين بدين الله بأنهم: "طائفة ", وتدخل تحت هذا الوصف, وتتعلق به جملة من المسائل الهامة نذكرها_ إن شاء الله_ في الفصول التالية, فنقول:

---

(1) "مسلم1/137, 3/1524 " .

(2) "مسلم3/1523 " .

(3) " البخاري6/2667 ", ' مسلم3/1523 ", واللفظ للبخاري .

الفصل الأول

المبحث الأول

الطائفة المنصورة جزء الأمة المتميّز

فظواهر الأحاديث الواردة في ذكر هذه الطائفة المنصورة كما سبق بعضها: دالة_ بغير جهد_ على أن هذه الطائفة هي جزء من الأمة لا كلها, وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق في أمر دينها إلى ثلاث وسبعين فرقة؛ وأن كل هذه الفرق ستنحرف عن الصراط المستقيم إلا فرقة واحدة .

* فقال صلى الله عليه وسلم كما في حديث الفرق المشهور: " افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقةً: فواحدةٌ في الجنَّة, وسبعون في النار، وافترقت النَّصارى على ثنتين وسبعين فرقةً: فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده؛ لتفترقنَّ أمتي على ثلاث وسبعين فرقةً: واحدةٌ في الجنة، وثنتان وسبعون في النار، قيل: يا رسول الله, مَن هُم ؟, قال: الجماعة "(1) .

ـــ وكذلك, فإن الواجبات التي تقوم بها هذه الطائفة_ كما سيأتي_: هي في الأصل واجبات كفائية، بمعنى أنها غير واجبة على الأعيان .

ـ ـ وظواهر أحاديث الطائفة المنصورة كما تدل على أن هذه الطائفة هي جزء من الأمة لا كلها, فإنها تدل_كذلك_ على أن هذا الجزء من الأمة أعمّ من حيث الوجود من أن يكون هو جماعة المسلمين الملتزمين بيعة إمام المسلمين الشرعي, وقوله صلى الله عليه وسلم في حديثه عن هذه الطائفة: " **لا تزال** '، " حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ': يدل على استمرار وجود هذه الطائفة؛ كان للمسلمين جماعة وإمام أم لا(2) .

وهذه الطائفة وإن كانت أعم من جماعة المسلمين الملتزمين بيعة إمام المسلمين الشرعي من وجه، فهي أخص منها من وجه اخر، أي: باعتبار صفاتها والواجبات القائمة بها .

ـ ـ وهذا ما فهمه السلف من أحاديث الطائفة المنصورة حيث ورد عن جمهرة من ائمتنا الكرام_ كما سيأتي_ أن الطائفة المنصورة: هم " أهل الحديث "؛ ومن المعلوم بداهة أن أهل الحديث هم جزء من الأمة لا كلها, كما أنه من المعلوم_ أيضاً_ أن أهل الحديث قد يوجدون وليس للمسلمين جماعة, ولا إمام كما أنه من المعلوم_ كذلك_ أن جماعة المسلمين الملتزمين بيعة إمام المسلمين الشرعي قد لا يكونون كلهم من أهل الحديث .

ـ ولذلك, فقوله صلى الله عليه وسلم كما جاء من حديث معاوية_ رضي الله عنه_:

' من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين, والله المعطي, وانا القاسم، **ولا تزال هذه الامة** ظاهرين على من

---

(1) من حديث عوف بن مالك_ رضي الله عنه_ عند ' ابن ماجه1322/2 ", " السنة لابن ابي عاصم32/1 ", " شرح اصول اعتقاد اهل السنة101/1 ",والحديث: صحيح مشهور مروي عن جمع من الصحابة في دواوين السنة المختلفة .

(2) المراد بالجماعة هنا: الكيان السياسي القائم وهو المعنى المذكور في حديث حذيفة: " فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ ", والمراد: جماعة المسلمين التي هي في طاعة الإمام الشرعي كما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة قبلها: " تلزم جماعة المسلمين وإمامهم'.

خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون "(1): مُقيد بما سبق، فالمراد: بعض الأمة لا كلها، وهو البعض القائم بالدين علماً وعملاً .

وقد مرّ معنا قول الحافظ ابن حجر_ رحمه الله_ في هذا الحديث: [وهذا الحديث: مشتمل على ثلاثة أحكام: أحدها: فضل التفقه في الدين، وثانيها: أن المعطي في الحقيقة هو الله، وثالثها: أن **بعض** هذه الأمة يبقى على الحق أبداً](2) .

وسبق معنا في المقدمة نحو كلام الحافظ ابن حجر عن عدد من أهل العلم, والأئمة كابن حزم, وشيخ الإسلام ابن تيمية, والمناوي, وغيرهم رحمهم الله جميعاً .

* وقد جاء من حديث معاوية_ رضي الله عنه_ نفسه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تزال **طائفة** من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس "(3) .

* وعن معاوية_ رضي الله عنه_ أيضاً_، قال: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لا يزال **من أمّتي أمّةٌ** قائمةٌ بأمر الله ما يضرُّهم مَن كذَّبهم ولا مَن خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك " .

فقال مالك ابن يخامر: سمعت معاذاً يقول: " وهم بالشام " .

فقال معاوية: هذا مالك يزعم أنه سمع معاذاً يقول: " وهم بالشام "(4) .

* وعنه_ رضي الله عنه_ كذلك_، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين, ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة "(5) .

* وعن المغيرة بن شعبة_ رضي الله عنه_، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " لا يزال **ناسٌ** من أمّتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون "(6) .

* وفي لفظ عن المغيرة_ رضي الله عنه_ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لن يزال **قوم** من أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون "(7) .

* ومن حديث سلمة بن نفيل_ رضي الله عنه_ قال صلى الله عليه وسلم: " ولا يزال **من أمتي أمة** يقاتلون

---

(1) " البخاري1134/3 " .

(2) "فتح الباري164/1 " .

(3) " مسلم1524/3 " .

(4) " البخاري1331/3, 2714/6 " .

(5) " مسلم1524/3 " .

(6) " البخاري1331/3 " .

(7) " مسلم1523/3 " .

على الحق ... "(1) .

* ومن حديث عمران بن حصين_ رضي الله عنه_ قال صلى الله عليه وسلم: ' لا تزال **طائفة من أهل الإسلام** يقاتلون على الإسلام ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتلون الدجال "(2) .

ـ ـ وعليه؛ فالطائفة المنصورة: جزء خاص من الأمة الإسلامية، وهذا الجزء الخاص من الأمة: هو طليعة بعثها، وأهله: هم القائمون بأمرها، والعاملون من أجل رفعتها وعزتها لتتبوأ مكانتها التي جعلها الله **لها** في قيادة البشرية خيرَ أمة أخرجت للناس .

فأهل هذه الطائفة: هم الأبناء البررة لأمتهم، يؤرقهم حالها، ويقض مضجعهم ضعفُها وتكالبُ الأعداء عليها، يحملون همَّ الإسلام بين جوانحهم: فلا يهدأ لهم بال، ولا يستقر بهم قرار وهم يرون ما نزل بساحة أمتهم، فهَمَّهم: نصر الدين والعمل له، وكل منهم يَحذر أن يؤتى الإسلام من قبله .

قال الإمام محمد بن نصر المروزي_ رحمه الله_:

[حدثنا محمد بن إدريس ثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي ثنا أيوب بن سويد سمعت الأوزاعي يقول: كان يقال: ما من مسلم إلا وهو قائم على ثغرة من ثغر الإسلام, **فمن استطاع ألا يؤتى الإسلام من ثغرته:** فليفعل](3) .

وقال المروزي_ أيضا_:

[حدثني محمد بن إدريس حدثني أحمد بن أبي الحواري حدثني إسحاق بن خلف _ وكان من الخائفين_ قال: قال الحسن بن حي: إنما المسلمون على الإسلام بمنزلة الحصن، فإذا أحدث المسلم حدثاً: ثَغَرَ في الإسلام من قبله، فإن أحدث المسلمون كلهم: **فأثبت أنت على الأمر الذي لو اجتمعوا عليه لقام الدين لله بالأمر الذي أراده من خلقه؛ لا يؤتى الإسلام من قبلك**](4) .

ـ وأفراد الطائفة المنصورة يتمثلون ما جاء في وصف الفاروق عمر_ رضي الله عنه_ على لسان ابن مسعود_ رضي الله عنه_، فعندما جاء ابنَ مسعود رجلان ليسمع منهما قراءةَ سورة من القران قد اختلفا فيها: أحدهما قرأ على عمر, والاخر قرأ على اخر .

فقل الذي قرأ على عمر: اقرأنيها عمر بن الخطاب: فأجهش ابن مسعود بالبكاء حتى بلّ الحصى بدموعه، وقال: " اقرا كما اقراك عمر فإنه كان للإسلام حصناً حصيناً، يدخل الناس فيه ولا يخرجون منه، **فلما أصيب عمر: انثلم الحصن** "(5) .

---

(1) " النسائي الكبرى3/35, 218/5 ", " المعجم الكبير7/52 ", " التاريخ الكبير4/70 " .

(2) " المعجم الكبير18/111 " .

(3) " السنة للمروزي/13 " .

(4) " السنة للمروزي/14 " .

(5) " المعجم الكبير9/160, 162، وانظر: " مصنف ابن ابي شيبة6/354، 357 "، " المستدرك3/ 100 " .

فأهل الطائفة المنصورة يستشعرون أنهم حصون الإسلام، يرومون إدخال الناس فيها ثم لا يخرجون منها .

وقد صح في وصف أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم أنهم يسوقون الناس بالسلاسل إلى الجنة حرصاً عليهم، وشفقةً ونصحاً، وحالهم: كحال الطبيب الذي يتحايل على المريض الجاهل بمرضه الكاره لما فيه شفاؤه: ليطعمه الدواء رغماً عنه، وإن كرهت نفسه .

وإن كان في ذلك نوع خشونة وشدة إلا أن هذه الخشونة والشدة: تُحمد عند رؤية العاقبة بما لا مزيد عليه بل ويُشكر أصحابُها عليها ويُحمدون بل وتعدّ من مناقبهم وفضائلهم وقد كان .

* قال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ }

[آل عمران: 110] .

وقد عقد الإمام البخاري_ رحمه الله_ في كتاب التفسير من صحيحه باباً، فقال: "باب: كنتم خير أمة أخرجت للناس " .

ثم ساق بسنده عن أبي هريرة_ رضي الله عنه_ في قوله تعالى: { كنتم خير أمة أخرجت للناس }، قال: "خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام "(1) .

* وفي رواية، قال أبو هريرة_ رضي الله عنه_: " نجيء بهم في السلاسل: فندخلهم الإسلام "(2) .

* وفي المستدرك عنه_ رضي الله عنه_، قال: "تجرونهم بالسلاسل: فتدخلونهم الإسلام "(3) .

* وقد قال صلى الله عليه وسلم: " عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل "(4) .

_ وهِمّةُ أهل الطائفة المنصورة في نصرة الدين والتمكين له: يُعبّر عنها سيفٌ من سيوف الطائفة المنصورة سلّه الله نصرةً للدين، وتمكيناً له_ بهمة، وعزم، ومضاء مع صدق وإخلاص_: فكان على يديه من النصر والتمكين ما هو إلى عالم الخيال أقرب منه إلى عالم الواقع:

* يقول خالد_ رضي الله عنه_: " ما من ليلة يهدى إليّ فيها عروس_ أنا لها محب_ أو أبشّر فيها بغلام: أحبّ إليّ من ليلة: شديدة البرد، كثيرة الجليد في سرية أصبّح فيها العدو "(5) .

_ وهذه الهمّة لا تقعد بأهل الطائفة المنصورة دون الجنة:

* قال تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } [الحجر: 99] .

* قال الحسن_ رحمه الله_: " اي قوم المداومة، والله ما المؤمن بالذي يعمل شهراً او شهرين او عاماً او

---

(1) " البخاري 1660/4 " .

(2) " مسند إسحاق بن راهويه 344/1 " .

(3) " المستدرك94/4 " .

(4) " البخاري 1096/3 " .

(5) " الجهاد لابن المبارك/91 "، وانظر: " سير اعلام النبلاء 375/1 " .

عامين؛ لا والله: ما جعل الله لعمل المؤمن أجلاً دون الموت "(1) .

* وفي رواية عنه_ رحمه الله_, قال: " أي قوم: المداومة، المداومة، فإن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت "(2) .

ـ وهكذا كانت همة أهل الطائفة المنصورة الأولين: همة وثابة، متوقدة، لا تعرف معنى لترك العمل ما لم يأت اليقين:

* عن عائشة_ رضي الله عنها_: أن ورقة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: " وإن يُدْرِكْني يومُك: أنصرْكَ نصراً مؤزراً "(3) .

مع كبر سنه، وذهاب بصره: هذه همته, وهذا عزمه، وقد تمنى أن يكون فيها جذعاً قوياً ليكون نفعُهُ: أكبرَ، وأثرُهُ: أقوى .

* وعن أنس_ رضي الله عنه_: " أن أبا طلحة الأنصاري قرأ سورةَ براءة، فلما أتى على هذه الآية: {انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً }: قال: أرى ربَّنا عز وجل يستنفرنا: شيوخاً، وشباباً: جهزوني أي بني .

فقال بنوه: يرحمك الله؛ قد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات، ومع أبي بكر_ رضي الله عنه_ حتى مات، ومع عمر_ رضي الله عنه_، فنحن نغزو عنك .

فأبى: فجهزوه فركب البحر: فمات، فلم يجدوا له جزيرةً يدفنونه فيها إلا بعد سبعةِ أيام فلم يتغير فدفنوه فيها"(4) .

* " وأسند الطبري عمّن رأى المقداد بن الأسود_ رضي الله عنه_ بحمص على تابوت صراف وقد فضل على التابوت من سمنه وهو يتجهز للغزو، فقيل له لقد عذرك الله ! .

فقال: أتت علينا سورة البعوث: { انفروا خفافاً وثقالاً } "(5) .

* "وخرج سعيد بن المسيب_ رحمه الله_ إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه؛ فقيل له: إنك عليل ! .

فقال: استنفر الله الخفيف والثقيل؛ فإن لم يمكني الحرب: كثرت السواد، وحفظت المتاع "(6) .

* وسُئِل ذو النون_ رحمه الله_ عن سبيل المسلم ليكون من صفوة الله .

فقال: " إذا خلع الراحة، وأعطى المجهود في الطاعة "(1) .

---

(1) " الزهد للإمام احمد/272 " .

(2) " الزهد لابن المبارك/7 " .

(3) " البخاري4/1، وغيرها "، " مسلم1/ 141 " .

(4) " الجهاد لابن المبارك/89 "، " الزهد للإمام احمد/ 251 " .

(5) " تفسير القرطبي8/151"، وانظر:" الجهاد لابن المبارك/88 " .

(6) "حلية الاولياء13/1 " .

وقد وضعها أحد أئمة الطائفة المنصورة قاعدةً خالدةً تالدة وهو الإمام الشافعي عندما قال: "طلبُ الراحة في الدنيا لا يصلحُ لأهل المروءات، فإن أحدَهم لم يزلْ تعباناً في كل زمان " .

ومن بعد الشافعي حدّد الغاية بأتم عبارة, وأوضحها: الإمامُ المنصور، الظاهر على مَنْ خالفه وعاداه: الإمام أحمد عندما سُئل: متى يجد العبد طعم الراحة ؟

فقال: " عند أول قدم يضعها في الجنة "(2) .

* ولقد قال_ رحمه الله_ لابنه: " يا بني: لقد أعطيت المجهود من نفسي "(3) .

* وقبل ذلك كله كان مَنْ كان الشيطان يفرق من ظله الفاروق_ رضي الله عنه_ يقول: " الراحة للرجال: غفلة "(4) .

ـ فأهل الطائفة المنصورة_ سيما أئمتهم_ لا يرضون إلا ببذل المجهود من أنفسهم, ويأنفون من أن ينسبوا للغفلة رغبة فيما عند الله والدار الآخرة حيث تعلقت نفوسهم بالراحة هناك لا هنا، يهتفون:

فحي على جنات عدن فإنها منازلك الأولي وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونـسلم

ـ وهؤلاء_ أهل الطائفة المنصورة_ قد خرجت هموم الدنيا من قلوبهم فلم يبق فيها غيرُ همِّ الدين والعمل له: فسهلّ عليهم أن يعطوا المجهود من أنفسهم لله ولدينه .

* وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر_ رضي الله عنه_:

" مَنْ جعل الهموم هماً واحداً: كفاه الله ما همّه من أمر الدنيا والاخرة، ومن تشعبت به الهموم: لم يبال الله في أي اودية الدنيا هلك "(5) .

وإ هذا أصل عظيم في تمهيد الطريق إلى الحق تقدس بصرف هموم الدنيا المستولية على قلوب الورى الشاغلة لهم عن الإقبال على مولاهم, وهمومها: كل هم ينشأ عن الهوى في لذة من لذاتها: كملبس، ومأكل، ومنكح, ومال, وحشم وجاه, فكل هَمّ منها يحجب عن الله, وعن الاخرة بحسب قوته وضعفه, ولا طهارة للقلب إلا بالفراغ منها: هَمّاً, هَمّاً)(6) .

---

(1) "حلية الاولياء13/1 ", " الزهد للبيهقي78/2 " .

(2) " طبقات الحنابلة 293/1 " .

(3) "صفة الصفوة2/ 351 "، وانظر: " الحلية9/ 203"، " السير11/ 232، 263 " .

(4) " ادب الدنيا والدين للماوردي/82 " .

(5) " المستدرك 4/ 364 "، وانظر:" المستدرك 2/ 481 "، " ابن ماجه1/ 95، 1375/2 "، " مصنف ابن ابي شيبة7/ 76 " .

(6) "فيض القدير3/ 261 " .

ـ وقد قال تعالى في بيان حال أهل الطائفة المنصورة: { فِي بيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ **رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ** } [النور: 36_ 37] .

* قال عبد الله بن الإمام أحمد: حدثني أبي حدثنا سيار, حدثنا جعفر, قال: سمعت مالكاً يقول: " بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج هم الآخرة من قلبك، وبقدر ما تحزن للآخرة: كذلك يخرج هم الدنيا من قلبك "(1) .

فتعاظم شعور أهل الطائفة المنصورة بالمسؤولية، وثار كالبركان إحساسُهم بعظم الأمانة: فغلت صدورُهم بالعزم على القيام بالأمر الذي يحبه الله ويرضاه .

* قال مالك بن دينار_ رحمه الله_: " إن صدور المؤمنين تغلي بأعمال البر، وإن صدور الفجار تغلي بأعمال الفجور، والله تعالى يرى همومكم فانظروا: ما همومكم رحمكم الله "(2) .

ـــ وأهل الطائفة المنصورة في ذلك كله: يتسابقون فيما بينهم مع صدق وسلامة صدر:

* قال تعالى: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ المُتَنَافِسُون } [المطففين: 26] .

* وقال سبحانه: {وَسَارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلمُتَّقِينَ } [آل عمران: 133] .

* وقال سبحانه في وصف عباده المؤمنين: { أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ } [المؤمنون: 61] .

ـ وقد كان عمر_ رضي الله عنه_ يحاول جاهداً مسابقة أبي بكر_ رضي الله عنه_ في الخير:

* أخرج الترمذي_ رحمه الله_ بسنده عن عمر بن الخطاب_ رضي الله عنه_، قال: " أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتصدق: فوافق ذلك مالاً عندي، قلت: **اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً** .

قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أبقيت لأهلك، قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: يا أبا بكر, ما أبقيت لأهلك، قال: أبقيت لهم الله ورسوله .

قلت: **والله لا اسبقه إلى شيء ابداً** "(3) .

* وقد جاء عن الشعبي_ رحمه الله_ في قوله: { إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم }:

قال: " انزلت في ابي بكر وعمر_ رضي الله تعالى عنهما_! اما عمر فجاء بنصف ماله حتى دفعه إلى النبي

---

(1) " الزهد للإمام احمد /319 " .

(2) " الزهد للإمام احمد / 323 "، " الحلية 6/ 288 " .

(3) " الترمذي 5/614 "، " الحاكم 1/574 "، و" البزار 1/394 "، وغيرهم عن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر، وانظر: " تلخيص الحبير 3/ 115 "، ورواه البزار_ ايضاً_ من حديث نافع عن ابن عمر عن عمر " 1/263 "، وقال الترمذي: [حديث حسن صحيح] .

صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما خلفت وراءك لأهلك ياعمر، قال: خلفت لهم نصف مالي .

وأمّا أبو بكر فجاء بماله كله يكاد أن يخفيه من نفسه حتى دفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما خلفت وراءك لأهلك يا أبا بكر، فقال: عدة الله، وعدة رسوله .

فبكى عمر رضي الله عنه وقال بأبي أنت وأمي يا أبا بكر، **والله ما استبقنا إلى باب خير قط إلا كنت سابقاً** "(1) .

ـ وأهل الطائفة المنصورة: يُغذّيهم في تنافسهم ويدفعهم له: معرفتُهم أن لا وقوف ألبته دون أبواب الجنة، وإنما هما أمران لا ثالث لهما: إما التقدم، والزيادة أو التقهقر والنقص .

قال ابن القيم رحمه الله: [والقصد: أن إضاعة الوقت الصحيح يدعو إلى درك النقيصة إذ صاحب حفظه: مترقٍ على درجات الكمال، فإذا أضاعه: لم يقف موضعه بل ينزل إلى درجات من النقص، فإن لم يكن في تقدم: فهو متأخر ولا بد، فالعبد سائر لا واقف: فإمّا إلى فوق وإما إلى أسفل، إما إلى أمام وإما إلى وراء .

وليس في الطبيعة ولا في الشريعة وقوف ألبتة: ما هو إلا مراحل تطوى أسرع طي إلى الجنة أو إلى النار: فمسرع ومبطئ، ومتقدم ومتأخر، وليس في الطريق واقف ألبتة، وإنما يتخالفون في جهة المسير، وفي السرعة والبطء كما قال تعالى: { إنها لإحدى الكبر نذيراللبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر } .

ولم يذكر واقفاً إذ لا منزل بين الجنةوالنار، ولا طريق لسالك إلى غير الدارين ألبتة، فمن لم يتقدم إلى هذه بالأعمال الصالحة: فهو متأخر إلى تلك بالأعمال السيئة](2) .

* قال حماد بن سلمة رحمه الله: " ما اتينا سليمان التيمي في ساعة يطاعُ اللهُ فيها إلا وجدناه مطيعاً، إن كان في ساعةِ صلاة: وجدناه مصلياً، وإن لم تكن ساعةَ صلاة: وجدناه: إما متوضئاً أو عائداً مريضاً أو مشيعاً لجَنَازة أو قاعداً في المسجد، وكنا نرىأنه لا يحسن أن يعصي الله "(3) .

* وذكر جرير بن عبد الحميد أن: " سليمان التيمي لم تمر ساعةٌ قطّ عليه إلا تصدقَ بشيء، فإن لم يكن شيءٌ: صلى ركعتين "(4) .

* وقالت فاطمة بنت عبد الملك تصف زوجَها عمرَ بن عبد العزيز رحمه الله:

" كان قد فرّغ للمسلمين نفسَهُ، ولأمورهم ذهنه، فكان إذا أمسى مساءً لم يَفرغ فيه من حوائج يومه: وصل يومَهُ بليلته "(5) .

---

(1) "تفسير ابن كثير 324/1 " .

(2) "مدارج السالكين 267/1 " .

(3) "حلية الاولياء 28/3 "، "سير اعلام النبلاء 198/6 " .

(4) "سير اعلام النبلاء 19/6 " .

(5) "سيرة عمر لابن عبد الحكم/146 " .

* وقال بعض أصحاب عمر بن عبد العزيز القدامى لعمر: لو تفرغت لنا .

فقال لهم_ رحمه الله_: "وأين الفراغ ؟!,ذهب الفراغ, فلا فراغ إلا عند الله "(1) .

* وذكروا عن محمد بن أحمد الدباهي أنه: " لازمَ العبادةَ، والعملَ الدائم, والجد، واستغرق أوقاته في الخير ...، صلبٌ في الدين، وينصحُ الإخوان، وإذا رآه إنسان: عرف الجدَّ في وجهه "(2) .

* وقال إبراهيم الحربي عن الإمام أحمد_ رحمهما الله_: "ولقد صحبته عشرين سنةً: صيفاً وشتاءً, وحراً وبرداً, وليلاً ونهاراً، فما لقيته في يوم إلا وهو زائدٌ عليه بالأمس "(3) .

فهو في صعود أبداً، لا يعرف الوقوف .

قال ابن الجوزي_ رحمه الله_: [ومن الصفوة أقوام مذ تيقظوا, ما ناموا، ومذ سلكوا: ما وقفوا، فهمّهم: صعودٌ وترقٍّ، كلما عبروا مقاماً: رأوا نقصَ ما كانوا فيه: فاستغفروا](4) .

ـــ وجماعُ أمر أهل الطائفة المنصورة: أخْذُ الدين بقوة لا لهواً ولعباً:

* قال تعالى: {يا يحيى خذ الكتاب بقوة } [مريم: 12] .

فهم أولى الناس بقول البحتري:

قلبٌ يطل على أفكاره ويدٌ تمضي الأمور ونفس لهوها التعب(5)

* جاء في ترجمة عبد الله بن الزبير_ رضي الله عنهما_ أنه: " كان لا ينازع في ثلاثة: شجاعة, ولا عبادة, ولا بلاغة, وأنه كان صواماً, قواماً "(6) .

* وقال ابن مهدي_ رحمه الله_: " لو قيل لحماد بن سلمة إنك تموت غداً: ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً"(7).

* و" كان بالكوفة ثلاثة لو قيل لأحدهم إنك تموت غداً ما كان يقدر أن يزيد في عمله: محمد بن سوقة, وعمرو بن قيس الملائي, وأبو حيان التميمي "(8) .

---

(1) "طبقات ابن سعد 397/5 " .

(2) "ذيل طبقات الحنابلة 361/2 " .

(3) " الزهد للإمام احمد/11 "، "مناقب احمد لابن الجوزي/140 " .

(4) "صيد الخاطر/355 " .

(5) "ديوان البحتري172/1 " .

(6) "سير اعلام النبلاء370/3 " .

(7) "تهذيب التهذيب 13/3 " .

(8) " التهذيب9/210 " .

* وجاء في ترجمة شعبة بن الحجاج_ رحمه الله_: " قال البكراوي: ما رأيت أعبدَ لله من شعبة, لقد عبدَ الله حتى جفّ جلده على عظمه ليس بينهما لحم "(1) .

فحداء أهل الطائفة المنصورة:

كن رابط الجأش وارفع راية الأمل وسر إلى الله في **جد بلا هزل**

وإن شعرت بنقــص فيك تعرفه فغذِّ روحــك بالقرآن واكتمل

وحارب النفــس وامنعها غوايتها فالنفس تهوى الذي يدعو إلى الزلل(2)

وقد استنكر ابن القيم_ رحمه الله_ استنكاراً شديداً: قطعَ الطريق باللهو واللعب، فقال مقرّعاً وموبّخاً:

[يا مخنث العزم أين أنت والطريقُ: طريقٌ تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورمي في النار الخليل، واضطجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسفُ بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونشر بالمنشار زكريا، وذبح السيدُ الحصورُ يحيى، وقاسى الضرَّ أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد صلى الله عليه وسلم، تزهى أنت باللهو واللعب](3) .

_ ولذا: قلّ كلامهم، وكثر عملهم وإن لم يشعر بهم الآخرون:

* قال الوليد بن مزيد: سمعت الأوزاعي يقول: " إن المؤمنَ: يقولُ قليلاً، ويعملُ كثيراً، وإن المنافقَ: يتكلمُ كثيراً، ويعملُ قليلاً "(4) .

---

(1) " حلية الاولياء7/ 144 " .

(2) "ديوان الشعاع/ 162 " .

(3) " الفوائد/42 ", وقارن بما في " المدهش لابن الجوزي/291 " .

(4) "سير اعلام النبلاء7/125 " .

المبحث الثاني

الطائفة المنصورة والفرقة الناجية

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق في أمر دينها إلى ثلاث وسبعين فرقة، وأن هذه الفرق كلها ستنحرف عن الصراط المستقيم الذي جاء به صلوات ربي وسلامه عليه إلا فرقة واحدة .

* فقال صلى الله عليه وسلم: " افترقتُ اليهود على إحدى وسبعينَ فرقةً: فواحدةٌ في الجنَّة, وسبعون في النار، وافترقت النَّصارى على ثنتين وسبعين فرقةً: فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده: لتفترقنَّ أُمَّتي على ثلاث وسبعين فرقةً: واحدةٌ في الجنة، وثنتان وسبعون في النار .

قيل: يا رسول الله, مَن هُم ؟، قال: الجماعة "(1) .

* وفي رواية: " إن أهل الكتابين افتَرقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملَّة، وإنَّ هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملَّة, كلُّها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة, وإنه سيخرج في أمتي أقوام تَجَارى بهم تلك الأهواءُ كما يَتَجارى الكَلَب بصاحبه؛ لا يبقى منهُ عرقٌ ولا مِفْصَلٌ إلا دخله "(2) .

والظاهر أن هذا الاختلاف المذكور والذي تفترق به الأمة إلى هذه الفرق إنما هو الاختلاف في أصل الدين, وقواعده المحكمة، ومسائله الكبار من الإيمان والتوحيد, والاعتصام بالكتاب, والسنة دون الاختلاف في الأحكام العملية الدائر بين الراجح والمرجوح إذ لم يخل عصر الصحابة_ رضوان الله عليهم_ من هذا الاختلاف بل كان ذائعاً منتشراً بينهم وهم: " الجماعة " المشهود لها بالنجاة .

_ وعلى هذا يمكن تعريف هذه الفرقة الناجية بأنهم: (الثابتون على اعتقاد ما نقله إليهم السلف الصالح_رحمهم الله_ عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن أصحابه_ رضي الله عنهم_ فيما لم يثبت فيه نصٌ في الكتاب, ولا عن الرسول صلى الله عليه وسلم)(3) .

وهؤلاء: (هم **أهل السنة والجماعة** المتمسكون بكتاب الله, وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبما كان عليه الصدر الاول من الصحابة, والتابعين, وائمة المسلمين)(4) .

* وقد سُئِل الإمام مالك_ رحمه الله_: مَنْ اهلُ السنة ؟ .

---

(1) سبق تخريجه .

(2) صحيح من حديث معاوية_ رضي الله عنه_: " الحاكم 218/1 ", " ابو داود 198/4 ", "احمد 102/4 ", " المعجم الكبير 376/19, 377", " شرح اصول اعتقاد اهل السنة 102/1 ", " السنة لابن ابي عاصم 7/1 ".

(3) " الرد على من انكر الحرف لابي نصر السجزي/99 " .

(4) " تفسير ابن كثير 433/4 " .

فقال: " أهل السنة الذين ليس لهم لقبٌ يُعرفون به: لا جهمي، ولا قَدَري، ولا رافضي "(1) .

* وسُئل أبو بكر بن عيَّاش_ رحمه الله_: مَن السُنِّيُّ ؟ .

فقال: " الذي إذا ذُكِرت الأهواء؛ لم يتعصَّب لشيءٍ منها "(2) .

ومن ثم، فحدّ النجاة أساساً: سلامة المعتقد والحرص على الاتباع .

ـ والمتأمّل في أحاديث الطائفة المنصورة يرى أن ما علّقه عليها الشارع من مهام، وما أوكله إليها من واجبات ممّا يمثل بمجموعه صفات هذه الطائفة_ كما سيأتي تفصيله_: هو ممّا يتجاوز حدّ النجاة لدائرة أخص هي دائرة القوامة على أمر الله والقيام به في أنفسهم، وفي غيرهم؛ فهم: صالحون، مصلحون بل ومقاتلون على هذا الصلاح، باذلون في سبيله النفس والنفيس، والغالي والرخيص، وهذه خصوصيتهم التي اجتمعوا عليها: فكان ظهورهم، ونصرهم، وقهرهم لمخالفيهم ومن ناوأهم إذ الجزاء من جنس العمل .

فـ(كلمة " طائفة " تدلّ بمعناها اللغوي على أن هذه الفئة أطافت بشيء واجتمعت حوله، وما هذا الشيء إلا القوامة على الحق، والسهر على حفظة وحمايته، والذب عنه؛ إذ أن تعليق أحكامها على وصف معيَّن لا بدَّ أن يكون مراداً مقصوداً، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يصفهم بالنجاة فحسب بل لم يرد وصفهم بالنجاة ألبتة في أحاديث الطائفة المنصورة السابقة، وإنما وُصِفوا بذلك في أحاديث الفرقة الناجية .

أمّا في أحاديث الطائفة المنصورة؛ فوُصفوا بوصف أعلى من ذلك، وهو: وصف الظّهور، والنصر، والغلبة، والثبات، وملازمة الحق، والقتال دونه، وما أشبه ذلك)(3) .

ـ وقد قام الدليل على أن " الطائفة ": جزء الفرقة لا كلها، وأنها الجزء القائم بالدين: علماً وعملاً، دعوة وجهاداً:

* قال تعالى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ } [التوبة: 122] .

فرّقت الاية بين الفرقة والطائفة، وبينت أن الطائفة جزء من الفرقة، وأنها هى الجزء القائم بالعلم والجهاد من الفرقة(4) .

* وقال تعالى: { وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [ال عمران: 104] .

قال ابن كثير_ رحمه الله_: [يقول تعالى: ولتكن منكم امة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير، والامر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واولئك هم المفلحون.

---

(1) " الانتقاء في فضائل الائمة الفقهاء/35 " .

(2) " الشريعة للاجري581/3 "، " شرح اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة63/1 " .

(3) "صفة الغرباء/288: 289 " .

(4) انظر: " تفسير ابن كثير401/2 : 402 "، " تفسير القرطبي294/8 " .

قال الضحاك: هم خاصة الصحابة، وخاصة الرواة؛ يعني: المجاهدين, والعلماء ...][1] .

وهذا ظاهر في كون هذه " الأمة ' المذكورة في الآية: جزءاً خاصاً متميزاً عن غيرها وإن كان هذا الغير من أهل النجاة والفضل، وإنما تميزت هذه " الأمة ' عن غيرها بما قامت به ونصبت نفسَها له من الأمر الأحب لله ربّ العالمين .

* وقد قال تعالى: { لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ الله الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلّاً وَعَدَ الله الْحُسْنَى وَفَضَّلَ الله الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً } [النساء: 95] .

فنفى الله تعالى المساواة بين القاعدين من المؤمنين، وبين المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم مع اشتراك الجميع في الأجر والفضل فضلاً عن النجاة كما في قوله تعالى: { وكلاً وعد اللهُ الحسنى } غير أن مرتبة المجاهدين أعلى, ودرجتهم أكبر إذ قد: {فَضَّلَ الله الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً } .

فدلّ ذلك على أن هناك دائرة أخص وأرفع من دائرة النجاة والأجر والفضل .

* وبنحو الآية السابقة: قوله تعالى: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ } [الزمر: 9] .

فنفى الله تعالى المساواة بين أهل العلم وغيرهم .

والأدلة على كون الجهاد, والعلم من صفات خاصة المؤمنين دون عامتهم: كثيرة جداً، وذلك أن الأصل فيهما أنهما من فروض الكفايات، بمعنى: أن وجوبهما إنما هو على البعض دون الكل، وهذا البعض من خاصة المؤمنين القائم بالعلم والجهاد: هم الطائفه المنصورة دون غيرهم، وغيرُهم: تبعٌ لهم .

ـ ـ والقول بالتسوية بين الفرقة الناجية, والطائفة المنصورة يعني أن ما تميزت به الطائفة المنصورة من القيام بأمر الله, والقوامة عليه بالعلم, والدعوة, والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, والجهاد في سبيل الله: هي واجبات عينية لا تتم النجاة من الوعيد في الاخرة إلا بها؛ وهو ممنوع بيقين .

فإمّا أن نجرد الطائفة المنصورة ممّا شهدت لها به النصوص من القيام بأمر الله, والقوامة عليه بالعلم, والدعوة, والامر بالمعروف والنهي عن المنكر, والجهاد في سبيل الله, وإمّا ان نجعل ذلك فرضَ عين في حق كل مسلم لا تتم النجاة من الوعيد إلا به؛ وكلاهما ممنوع .

فلا يبقى غير التفريق بين الفرقة الناجية, والطائفة المنصورة, وكون هذه الأعمال ممّا تميزت به الثانية ـ إساساً ـ دون الاولى .

ـــ ويؤكد ما سبق, ويوضحه: ان القعود عن القيام بأمر الله, والقوامة عليه بالعلم, والدعوة, والامر بالمعروف والنهي عن المنكر, والجهاد في سبيل الله عند القدرة: هو من جنس الذنوب, والمعاصي لا من جنس البدع, والمحدثات في حين ان العلماء كافة قد حملوا حديث الفرق على ما كان راجعاً للبدع, والمحدثات لا إلى الذنوب, والمعاصي حتى قال الشاطبي ـ رحمه الله ـ: [فلم يكن منهم قائل بأنّ الفرقة المضادة

---

(1) "تفسير ابن كثير 391/1 " .

للجماعة: هي فرقة المعاصي غير البدع على الخصوص](1) .

وقال_ رحمه الله_: [وكل مَنْ لم يهتد بهديه, ولا يستن بسنته؛ فإمّا إلى بدعة أو معصية؛ فلا اختصاص بأحدهما غير أن الأكثر في نقل أرباب الكلام، وغيرهم أن الفرقة المذكورة: إنما هي بسبب الابتداع في الشرع على الخصوص، **وعلى ذلك حمل الحديثَ مَنْ تكلم عليه من العلماء، ولم يعدوا منها المفترقين بسبب المعاصي التي ليست ببدع، وعلى ذلك يقع التفريع إن شاء الله**](2) .

ـ قلت: ولأئمة أهل السنة الأعلام كلامٌ كثير, مشهور في التفريق بين البدع, والمعاصي وبيان قلة خطورة الثانية على الدين بالنسبة للأولى .

فيظهر بذلك أن جهة الحديث عن الطائفة المنصورة في كلام النبي صلى الله عليه وسلم مختلفة عن جهة حديثه صلى الله عليه وسلم عن الفرقة الناجية, وأن هذه الجهة الأخيرة: هي السلامة من البدع في القول, والعمل, والاعتقاد, وعلى هذا الأساس يُفهم ما روي عنه صلى الله عليه وسلم في بيان الفرقة الناجية من أنها: "مَنْ كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي "(3) .

أمّا جهة حديثه صلى الله عليه وسلم عن الطائفة المنصورة: فهي_ كما تنطق به الأحاديث_ ما وراء ذلك من إظهار هذا الدين السالم من البدع, والمحدثات, والقتال في سبيله, والتمكين له, والله أعلم .

ـ وعلى هذا؛ فالتسوية بين الفرقة الناجية, والطائفة المنصورة يعني أن كل من لم يتصف بما اتصفت به الطائفة المنصورة من القيام بأمر الله, والقوامة عليه بالعلم, والدعوة, والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, والجهاد في سبيل الله: هو من الفرق الضالة المُباينة للفرقة الناجية؛ وهو ما يظهر فساده .

فالمتفق عليه (أن هذه الفرق إنما تصير فرقاً بخلافها للفرقة الناجية في معنى كلي في الدين, وقاعدة من قواعد الشريعة لا في جزئي من الجزئيات إذ الجزئي والفرع الشاذ: لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعاً، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية)(4) .

---

(1) " الاعتصام410/2 " .

(2) " الاعتصام411/2 " .

(3) من حديث عبد الله بن عمرو_ رضي الله عنهما_: " المستدرك218/1 ", ' الترمذي5/6 ", " البدع والنهي عنها لابن وضاح/85 ", " الشريعة للاجري/15, 16 ", 'السنة للمروزي/23 ", " شرح اصول اعتقاد اهل السنة99/1 ", " الإبانة لابن بطة219/1: 221 ", وغيرهم, وهو حسن لشواهده الكثيرة, والله اعلم .

والحديث حسّنه الترمذي كما في 'تحفة الاحوذي334/7 ", وكما نقله العراقي في 'تخريج الإحياء198/3 ", وابن القيم في " حاشيته على ابي داود222/12 ", والعجلوني في 'كشف الخفاء170/1 ".

وقد رويت هذه الزيادة عن انس_ رضي الله عنه_, انظر: 'المختارة278/7", " المعجم الاوسط22/8 ", " المعجم الصغير29/2 ", " مجمع الزوائد189/1 " .

(4) " الاعتصام415/2: 416 " .

ـ ـ وقد ورد عن جمهرة من سلفنا الصالح أن الطائفة المنصورة: هم أهل الحديث:

* قال الإمام الكبير عبد الله بن المبارك_ رحمه الله_ في بيان الطائفة المنصورة:

" هم عندي أصحاب الحديث "(1) .

* وقال يزيد بن هارون_ رحمه الله_: " إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم ؟! "(2) .

* وسئل الإمام أحمد عن هذه الطائفة المنصورة، فقال: " إن لم تكن أهل الحديث فلا أدري من هي ؟ "(3) .

قال الحافظ ابن حجر_ رحمه الله_: [أخرج الحاكم في علوم الحديث بسند صحيح عن أحمد: " إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم ؟ "](4) .

* وقال الترمذي: قال محمد بن إسماعيل: قال علي بن المديني_ رحمه الله_: " هم أصحاب الحديث "(5) .

* وقال الإمام البخاري_ رحمه الله_ : [باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق "، وهم: أهل العلم](6) .

ومن المعلوم: أن أهل الحديث أو أهل العلم: جزء من الفرقة الناجية_ أهل السنة والجماعة_ إذ ليس كل منتسب لأهل السنة_ الفرقة الناجية_: هو من أهل الحديث أو أهل العلم إلا أن يكون ذلك بالتبعية؛ فعوام الفرقة الناجية_ وهم قطاع عريض إن لم نقل: القطاع العريض_ ليسوا من أهل العلم أو من أهل الحديث بالمعنى الاصطلاحي الخاص المذكور هنا وإن كانوا منهم باعتبار اتباعهم لهم, واقتدائهم بهم .

ـ وعليه؛ فالفرقة الناجية: هي جزء خاص من أمة الإسلام لا كلها كما هو نص حديث الفرق: " أمتي ... إلا فرقة واحدة ": فهي فرقة واحدة من مجموع الأمة .

ثم الطائفة المنصورة بعد: جزء خاص من الفرقة الناجية: { فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ... } الآية؛ فالطائفة جزء الفرقة لا كلها .

فمراتب الانتساب لهذا الدين هنا: ثلاث؛ مرتبة الإسلام، وهي أوسع المراتب جميعاً ثم: مرتبة الفرقة الناجية، وهي أخص ممّا سبقها ثم: مرتبة الطائفة المنصورة، وهي أضيق المراتب وأخصها جميعاً .

والعلاقة بين هذه المراتب: هي عين العلاقة بين: الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات في قوله تعالى: { ثُمّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الّذينَ اصْطَفَيْنَا من عبَادنا فَمنهُم ظَالمٌ لنَفسه ومنْهُم مُقْتَصدٌ وَمنْهُم سَابقٌ بالخَيْرَات بإذْن الله

---

(1) "شرف اصحاب الحديث للخطيب/26 " .

(2) "المرجع السابق " .

(3) "معرفة علوم الحديث/2 ", "شرف اصحاب الحديث/25، 27 " .

(4) "فتح الباري 359/13 " .

(5) "سنن الترمذي485/4 ", "شرف اصحاب الحديث/27 " .

(6) "فتح الباري 358/13 " .

ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الكبير } .

وهي_كذلك_: عين العلاقة بين: الإسلام، والإيمان، والإحسان كما في حديث جبريل المشهور(1) .

قال ابن رجب_رحمه الله_ عن حديث جبريل: " ما الإسلام...، ما الإيمان ...، ما الإحسان ... " الحديث, قال: [هو حديث عظيم الشأن جداً يشتمل على شرح الدين كله, ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في آخره: " هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " بعد أن شرح **درجة** الإسلام, و**درجة** الإيمان، و**درجة** الإحسان، فجعل ذلك كله ديناً](2) .

ـ ـ وبناء على ما سبق؛ فكلّ مَنْ كان من أهل الطائفة المنصورة: فهو بلا شك من الفرقة الناجية بغير عكس إذ كل ما اتصفت به الفرقة الناجية: ثابت في حق الطائفة المنصورة_كما يظهر في صلب هذه الرسالة_ثم تتميز الطائفة المنصورة بعد بالقيام بالفروض الكفائية التي يتحقق بها القيام بأمر الله, والقوامة عليه .

وهذه هي القاعدة العامة هنا مع التسليم بأن الوصفين: " الفرقة الناجية " و " الطائفة المنصورة " قد يجتمعان أحياناً على وجه الاستثناء من القاعدة العامة في فئة من المؤمنين، وحينئذ تكون الطائفة المنصورة: هى الفرقة الناجية بأكملها كما كان الحال في صدر الإسلام، وكما سيكون عليه الحال في آخر الزمان حينما ينحاز المؤمنون إلى الشام وعليهم ينزل عيسى بن مريم عليه السلام لقتال الدجال .

وهذا يُذكّر بأن صفات الطائفة المنصورة التي تميزت بها عن الفرقة الناجية من العلم, والدعوة, والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, والجهاد في سبيل الله وإن كانت في الأصل واجبات كفائية؛ فإنها قد تتعين أو يتعين قدر منها؛ وعندئذ يصبح القيام بما تعين منها_عند العلم, والقدرة_ ممّا لا تتم النجاة من الوعيد في الآخرة إلا به كما سيظهر في ثنايا البحث وبقوة .

* قال تعالى: { والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر } .

* وقال تعالى: { وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ الله وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنّ الله يُحِبّ الْمُحْسِنِينَ }

[البقرة: 195] .

وقد ذكرنا في المقدمة أنّ الانتساب للطائفة المنصورة متفاوت, وأنّ نصيب الفرد من الانتساب للطائفة المنصورة هو بحسب نصيبه ممّا قام به من صفاتها .

ــ وبما سبق يعلم انه ليس هناك ادنى تعارض بين ما ورد عن ائمة السلف من ان اهل الحديث: هم الفرقة الناجية, وما ورد عنهم من انّ اهل الحديث: هم الطائفة المنصورة إذ اهل الحديث: هم الطائفة المنصورة, وهم الفرقة الناجية في نفس الوقت لما قررناه من ان كل مَنْ كان من الطائفة المنصورة: فهو بلا شك من الفرقة الناجية, فوصف " الطائفة المنصورة " كوصف " الإحسان " يجمع ما قبله من " الإيمان ", و" الإسلام", فاين التعارض ؟! .

---

(1) "مسلم36/1 " .

(2) "جامع العلوم والحكم/ 25 " .

وبهذا_ كذلك_ يُعلم الجواب عن نحو قول شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: في مفتتح رسالته " العقيدة الواسطية ": [فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة](1) .

فالطائفة المنصورة: هي جزء لا يتجزء من الفرقة الناجية بل هي قلب الفرقة الناجية_ أهل السنة والجماعة_, فكل ما ثبت للفرقة الناجية: ثبت للطائفة المنصورة ضرورة كما أنها هي المقام الأعلى الذي يتضمن ما قبله ضرورةً أيضاً .

ـ وأمّا الاعتراض هنا بأن وصف " النجاة ": أعلى, وأخص من وصف " النصر " أو " الظهور ": فهو اعتراض مردود بيقين, وهو ظن مجرد مخالف لكثير من النصوص؛ منها:

* قوله تعالى: {يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون } [التوبه: 32_33] .

* وقال تعالى: { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً }

[الفتح: 28] .

* وقال تعالى: { يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } [الصف: 8_9] .

* وقال تعالى: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ } [الأنعام: 34] .

* وقال تعالى_ أيضاً_: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ } [الصافات: 171_ 173] .

* وقال تعالى_ كذلك_: {كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } [المجادلة: 21] .

* وقال تعالى: { إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ } [غافر: 51] .

فالوعد في هذه النصوص كلها_ وغيرها_ إنما هو بالنصر, والغلبة, والظهور في الدنيا, والاخرة مع أنّ المَعْنيين بهذا الوعد: هم من اهل النجاة قطعاً, فتعين ان الوعد بالنصر, والغلبة, والظهور: اخص من الوعد بالنجاة, وهذا ظاهر جداً من الايات إذ صراع الرسل مع مخالفيهم إنما هو_ أساساً_ لإظهار الحق الذي بُعثوا به, والتمكين له لا لتحقيق النجاة لانفسهم في الاخرة فقط, والله اعلى, واعلم(2) .

---

(1) " العقيدة الواسطية/5: 6 " .

(2) وهذا ما بدا لي في مسالة العلاقة بين " الفرقة الناجية ", و" الطائفة المنصورة " بعد متابعة لكل ما قيل, وثار حولها, وتبقى هذه المسالة: مسألة علمية, اجتهادية_ إذ لا يوجد كلام **صريح** لمَنْ تقدم فيها_, الاصل ان تعالج بمنهج علمي موضوعي بعيداً عن التشنج, والانفعال, وسوء الظن, واتهام النيات, والاحكام المسبقة, والهوى الغالب, والله من وراء القصد .

ـ ـ تنبيه **هام جداً**:

المراد بـــ: " أهل الحديث " .

مرّ معنا قول جمهرة من أئمة السلف بأن أهل الحديث: هم " الطائفة المنصورة ": وهذا الوصف: " أهل الحديث " من هؤلاء الأئمة الأعلام في بيان الطائفة المنصورة: هو وصفُ كمالٍ مُعبّر بغاية الإيجاز والإحكام عن حال الطائفة المنصورة من القوامة بأمر الله: علماً وعملاً، دعوةً وجهاداً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: [ونحن لا نعني بأهل الحديث: المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته بل نعني بهم: كلَّ من كان أحقَّ بحفظه، ومعرفته، وفهمه: ظاهراً، وباطناً، واتباعه: باطناً، وظاهراً، وكذلك: أهل القرآن .

وأدنى خصلة في هؤلاء: محبة القرآن والحديث، والبحث عنهما، وعن معانيهما، والعمل بما علموه من موجَبهما](1) .

فأساس الانتساب إلى: " أهل الحديث ": هو عين أساس الانتساب إلى " الطائفة المنصورة ' من العلم والعمل، والدعوة والجهاد؛ أمّا مَنْ كان حظه من النسبة لأهل الحديث: مجرد تجارة الورق؛ فنسبته إليهم: نسبة زور هيهات أن تَسلّم له أو أن يكون المقصود بها وإن أسبغ على نفسه الألقاب أو سوّد وجهه بالمداد أو أتقن دقّ الطبول !!! .

وصدق ابن القيم ـ رحمه الله ـ في قوله في نونيته:

من أين والعلماء أنتم فاستحوا	أين النجوم من الثرى التحتاني ؟!
لم يشـــبه العلماء إلا أنـــتم !	أشبهتم العلمـــاء فـــي الأذقان
والله لا عـــلـــم ولا ديـــن	ولا عقل ولا بمروءة الإنسان(2)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: [إذا قيل عن رجلٍ إنه صاحب سنة؛ فالمقصود به أنه: على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضوان الله عليهم من أمور الدين: **قولاً، وعملاً، واعتقاداً**](3) .

وقال ابن رجب ـ رحمه الله ـ: [والسنة: هي الطريق المسلوك، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من: الاعتقادات، والاعمال، والاقوال، وهذه هي السنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله، وروي معنى ذلك عن الحسن، والاوزاعي، والفضيل بن عياض](4) .

---

(1) " الفتاوى95/4 " .

(2) انظر: "شرح القصيدة النونية لاحمد عيسى488/1 " .

(3) " الفتاوى306/19: 307 " .

(4) "جامع العلوم والحكم/263 " .

وقال شيخ الإسلام_ رحمه الله _أيضاً_: [ومن المعلوم: أن أهل الحديث, والسنة أخص بالرسول واتباعه، فلهم من فضل الله وتخصيصه إياهم بالعلم والحلم, وتضعيف الأجر ما ليس لغيرهم كما قال بعض السلف: " أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل "؛ فهذا الكلام تنبيه على ما يظنه أهل الجهالة والضلالة من نقص الصحابة في: العلم والبيان أو **اليد والسنان**](1) .

وقال_ أيضاً_ رحمه الله_ عن أهل الحديث؛ ولله درّ ما قال: [فإن الله كتب في قلوبهم الأيمان, وأيدهم بروح منه **لما صدقوا في موالاة الله ورسوله, ومعاداة من عدل عنه**, قال تعالى: { لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ } .

وأهل العلم المأثور عن الرسول أعظم الناس قياماً بهذه الأصول, لا تأخذ أحدهم في الله لومة لائم, ولا يصدهم عن سبيل الله العظائم بل يتكلم أحدهم بالحق الذي عليه, ويتكلم في أحب الناس إليه عملاً بقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً}, وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }](2) .

وقال اللالكائي_ رحمه الله_ وهو يُعدّد مناقب أهل الحديث: [فإنهم السواد الأعظم, والجمهور الأضخم, فيهم: العلم, والحكم, والعقل, والحلم, **والخلافة, والسيادة, والملك, والسياسة** .

وهم أصحاب الجمعات, والمشاهد, والجماعات, والمساجد, والمناسك, والأعياد, والحج, **والجهاد**, وباذلي المعروف للصادر والوارد, **وحمات الثغور والقناطر الذين جاهدوا في الله حق جهاده**](3) .

---

(1) " الفتاوى140/4 " .

(2) " الفتاوى10/1 " .

(3) "شرح اصول اعتقاد اهل السنة25/1 " .

المبحث الثالث

الطائفة المنصورة وقلة العدد

قوله صلى الله عليه وسلم "طائفة ": يدل على أن هذه الطائفة الظاهرة المنصورة قد تكون في بعض الأزمان قليلة العدد بالنظر إلى مجموع الأمة إذ " الطائفة " لغةً وشرعاً: تنتظم الواحد فما فوق .

جاء في "مختار الصحاح ": [والطَّائِفة من الشيء: قطعة منه، وقوله تعالى: { وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ }، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الواحد فما فوقه](1) .

ـ وقد استدل الأئمة رحمهم الله بقوله تعالى: { فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ } على قبول خبر الواحد وحجيته لكون " الطائفة " تنتظم: الواحد فما فوق(2) .

وقد عقد الإمام البخاري رحمه الله باباً في كتاب الأحكام من صحيحه، فقال: "باب: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان، والصلاة، والصوم، والفرائض، والأحكام، وقول الله تعالى: { فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ }، الآية "(3) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: [وهذا مصير منه إلى أن لفظ " طائفة " يتناول الواحد فما فوقه ولا يختص بعدد معين، وهو منقول عن ابن عباس، وغيره كالنخعي، ومجاهد نقله الثعلبي، وغيره .

وعن عطاء وعكرمة، وابن زيد: أربعة، وعن ابن عباس أيضاً من أربعة إلى أربعين، وعن الزهري: ثلاثة، وعن الحسن: عشرة، وعن مالك: أقل الطائفة: أربعة، كذا أطلق ابن التين، ومالك إنما قاله فيمن يحضر رجم الزاني، وعن ربيعة: خمسة .

وقال الراغب(4): لفظ طائفة يُراد بها الجمع، والواحد: طائف، ويُراد بها الواحد، فيصح ان يكون كراوية، وعلامة، ويصح أن يُراد به الجمع وأطلق على الواحد .

وقال عطاء الطائفة اثنان فصاعداً، وقواه أبو إسحاق الزجاج بأن لفظ طائفة يشعر بالجماعة وأقلها اثنان، وتعقب بأن الطائفة في اللغة: القطعة من الشيء فلا يتعين فيه العدد .

وقرّر بعضهم الاستدلال بالاية الاولى على وجه اخر، فقال: لما قال: {فلولا نفر من كل فرقة }، وكان اقل

---

(1) "مختار الصحاح168/1 " .

(2) انظر: "تفسير القرطبي294/8 " .

(3) " البخاري2647/6 " .

(4) انظر: " مفردات القران للراغب/532 " .

الفرقة: ثلاثة، وقد علق النفر بطائفة منهم: فأقلّ مَنْ ينفر واحد ويبقى اثنان, وبالعكس](1) .

والمرجّح_ والله أعلم_، أن الطائفة: الواحد فما فوق إذ الطائفة لغة_ كما سبق_: القطعة من الشيء، فلا يتعين فيه العدد كما قال الحافظ .

قال ابن عبد البر_ رحمه الله_ في الآية السابقة: [فألزم النفير فى ذلك البعض دون الكل ثم ينصرفون فيعلمون غيرهم، والطائفة في لسان العرب: الواحد فما فوق](2) .

ـــ قلت: وبهذا جاء التنزيل:

* قال تعالى: { لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ **طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً** بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ } [التوبة: 66] .

قال القرطبي_ رحمه الله_ في تفسير هذه الآية: [قيل: كانوا ثلاثة نفر: هزيء اثنان، وضحك واحد, فالمعفو عنه: هو الذي ضحك ولم يتكلم .

والطائفة الجماعة، ويقال للواحد على معنى نفس طائفة، وقال ابن الدفع: يطلق لفظ الجمع على الواحد كقولك: خرج فلان على البغال، قال: ويجوز أن تكون الطائفة إذا أريد بها الواحد: طائفاً والهاء للمبالغة](3).

الآية نص في كون "الطائفة" تنتظم الواحد فما فوق .

ـ وبنحو الآية السابقة:

* قوله تعالى: { وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا } [الأحزاب: 13] .

قال القرطبي_ رحمه الله_ في تفسيرها: [الطائفة تقع على الواحد فما فوقه، وعنى به هنا: أوس بن قيظي والد عرابة بن أوس ...](4) .

وقد قال الإمام البخاري_ رحمه الله_ في "باب ما جاء في إجازة خبر الواحد ... ", قال: "ويسمى الرجل: طائفة لقوله تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا }, فلو اقتتل رجلان دخلا في معنى الاية "(5) .

قال الحافظ_ رحمه الله_: [وهذا الاستدلال سبقه إلى الحجة به: الشافعي وقبله: مجاهد, ولا يمنع ذلك قوله: { وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ }, لكون سياقه يشعر بأن المراد أكثر من واحد لأنّا لم نقل إن الطائفة لا تكون الا واحداً](6) .

---

(1) " الفتح234/13 " .

(2) "جامع بيان العلم11/1 " .

(3) "تفسير القرطبي147/14 " .

(4) "تفسير القرطبي199/8 " .

(5) " البخاري2647/6 " .

(6) " الفتح234/13 " .

قلت: وقد قال القرطبي_ رحمه الله_ في تفسيره: [قلت: أنصُّ ما يستدل به على أن الواحد يقال له طائفة: قوله تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا }: يعني نفسَيْن، دليله: قوله تعالى: { فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ }، فجاء بلفظ التثنية، والضمير في اقتتلوا وإن كان ضمير جماعة فأقل الجماعة اثنان في أحد القولين للعلماء](1).

ـــ فدلّ ذلك كله على أن لفظ " الطائفة " يطلق_ لغةً, وشرعاً_ على الواحد فما فوق.

وقد قال ابن الأثير_ رحمه الله_ في نفس حديث الطائفة المنصورة: " لا تَزال طائفةٌ من أمَّتي على الحقِّ ", قال: [الطائفة : الجماعة من النَّاس, **وتقعُ على الوَاحد**, كأنه أرادَ نَفْساً طائفة .

وسُئل إسحاق بن راهُوية عنه، فقال: الطائفة: دُون الألف, **وسيَبْلُغ هذا الأمرُ إلى أنْ يكون عدَد المُتَمَسكينَ بما كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصْحابه ألفاً يسلّى بذلك أن لا يُعْجبَهم كَثْرَةُ أهل الباطل**](2).

قلتُ: فجاء النص عن بعض الأئمة الأعلام على أن هذه الطائفة الظاهرة المنصورة قد تكون في بعض الأزمان قليلة العدد جداً بالنظر إلى مجموع الأمة .

وقد قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب_ رحمه الله_ عقب سوقه لحديث الطائفة المنصورة من رواية ثوبان: [العاشرة: الآية العظمى أنهم **مع قلتهم** لا يضرهم من خذلهم, ولا من خالفهم](3) .

ـ ـ وقد جاء وصفُ الطائفة المنصورة_ أيضاً_ بأنها: " عصابة " كما في حديث جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة"(4) .

* ومن حديث عقبة بن عامر_ رضي الله عنه_: " لا تزال **عصابَة** من أمّتي، يقاتلونَ على أمر الله، قاهرين لعدوِّهم، لا يضرّهم من خالفهم حتى تأتيَهُم الساعة وهم على ذلك "(5) .

* وعن أبي هريرة_ رضي الله عنه_، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لن يزال على هذا الأمر **عصابة** على الحقِّ، لا يضرّهم مَن خالفَهم حتى يأتيَهُم أمرُ الله وهم على ذلك "(6) .

وقد قال في " لسان العرب ": [والعُصْبَة والعِصابة: جماعة ما بين العَشَرة إلى الأربعين](7) .

---

(1) " تفسير القرطبي 294/8 " .

(2) " النهاية في غريب الحديث 153/3 " .

(3) " فتح المجيد 278/ " .

(4) " مسلم 1524/3 " .

(5) " مسلم 1524/3 " .

(6) " صحيح ابن حبان 249/15 ", " احمد 340/2, 379 " .

(7) " لسان العرب 607/1 " .

وفي " النهاية لابن الأثير ": [العَصائِب: جمعُ عِصابة، وهم الجماعة من الناس من العَشَرة إلى الأرْبَعين](1).

ـ وجاء من حديث مرّة البهزي_ رضي الله عنه_ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على من ناوأهم، **وهم كالإناء بين الأكلة** حتى يأتي أمر الله وهم كذلك .

قلنا يا رسول الله: وأين هم، قال: بأكناف بيت المقدس "(2) .

فقوله صلى الله عليه وسلم: " وهم كالإناء بين الأكلة ": ظاهر في غربة هذه الطائفة، وقلة عددها، وعدتها بالنظر لمجموع مَنْ حولها من المخالفين، والمناوئين، والخاذلين، والله أعلم .

* ومن حديث المغيرة بن شعبة_ رضي الله عنه_ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا يزال **ناسٌ** من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون "(3) .

* وعن قرّة بن إياس المزني_ رضي الله عنه_ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا يزال **ناسٌ** من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة "(4) .

* وعن عمر بن الخطاب_ رضي الله عنه_، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يزال **ناسٌ** من أمتي ظاهرين على الحق "(5) .

فقوله صلى الله عليه وسلم: " ناسٌ ": مشعر بالقلة وإن لم يكن نصاً فيها .

ـ وقد جاء في وصف الغرباء الذين أثنى النبي صلى الله عليه وسلم عليهم خيراً أنهم :" ناس صالحون في ناس سوءٍ كثير؛ مَنْ يعصيهم **أكثر** ممّن يطيعهم "(6) .

أي: أنهم قليل في وسط كثير من المخالفين، والمناوئين، والخاذلين .

* وقد جاء في رواية: "ناس صالحون قليل في ناس سوءٍ كثير، مَنْ يعصيهم أكثر ممن يطيعهم "(7) .

ـ وتأمّل ما جاء في وصف الغرباء_ كذلك_ أنهم: " الفرّارون بدينهم، يبعثهم الله عزّ وجلّ يوم القيامة **مع عيسى بن مريم** "(8) .

---

(1) " النهاية لابن الأثير 243/3 " .

(2) " المعجم الكبير 317/20 " .

(3) " البخاري 1331/3 " .

(4) "صحيح ابن حبان 248/15 ", " احمد 35/5 ", "مسند ابن الجعد/166 " .

(5) " الدارمي 280/2 " .

(6) " احمد 222/2 " .

(7) " الزهد الكبير للبيهقي 116/2"، " الزهد لابن المبارك/267 ", وانظر: "مجمع الزوائد 259/10 " .

(8) " الزهد للبيهقي 116/2 ", " الزهد للإمام احمد/149 ", "حلية الاولياء 25/1 " .

* وقد قال صلى الله عليه وسلم في وصف الطائفة المنصورة كما في حديث عمران ابن حُصَين رضي الله عنه: " لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي يقاتلون على الحق، ظاهرين على مَن ناوأهم حتى يقاتل **آخرهُم المسيحَ الدجّال** "(1) .

فبالجمع بين الحديثين: يتبين أن هؤلاء الغرباء الفرارين بدينهم: هم الطائفة المنصورة المقاتلة على هذا الدين إذ هم أولى الناس بعيسى بن مريم عليه السلام لقتالهم معه دون غيرهم؛ فناسب أن يبعثهم الله عز وجل معه يوم القيامة دون سواهم(2) .

ولا شك أن قلة العَدد والعُدد أحد مظاهر الغربة وأسبابها .

ـ ـ وقد أخبرنا المولى سبحانه وتعالى أن سنته قد جرت بقلة أتباع الحق وأنصاره:

* قال تعالى: { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ } [يوسف: 106] .

* وقال تعالى: { وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ } [الأنعام: 116] .

* وقال تعالى: {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } [يوسف: 103] .

* وقال صلى الله عليه وسلم: " يقول الله تعالى: يا آدم أخرج بعث النار ؟ .

قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعنده: يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد "(3) .

* وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الفرق: " إن أهل الكتابين افتَرقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملّة، وإنّ هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملّة, كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة, وإنه سيخرج في أمتي اقوام تَجَارى بهم تلك الاهواءُ كما يَتَجارى الكَلَب بصاحبه؛ لا يبقى منهُ عرقٌ ولا مِفْصَلٌ إلا دخله"(4).

فظاهر حديث الفرق: أن هذه الفرقة الناجية غريبة في هذا الخضم من الفرق الضالة، ولذلك ربط الإمام الاجُرِّي رحمه الله بين حديث الغربة، وحديث الفرق، فقال:

[وقوله صلى الله عليه وسلم: " وسيعود غريبًا ": معناه والله اعلم: ان الاهواء المضلة تكثرُ, فيضل بها كثيرٌ من الناس، ويبقى اهل الحق الذين هم على شريعة الإسلام: **غرباء في الناس**، الم تسمع إلى قول

---

(1) " المستدرك2/81, 4/497 ", " ابو داود3/4 ", " احمد4/437 ", " المعجم الكبير18/116 ", " شرح اصول اعتقاد اهل السنة1/111".

(2) انظر " صفة الغرباء/ 284 ".

(3) " البخاري3/1221, 5/2392 ", " مسلم1/201 " .

(4) سبق تخريجه .

النبي صلى الله عليه وسلم: " تفترق أمَّتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي الناجية ؟، قال: " ما أنا عليه وأصحابي "](1) .

قلتُ: (وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جداً غريبةً بين اثنتين وسبعين فرقة ذات أتباع ورئاسات ومناصب وولايات ولا يقوم لها سوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسول فإن نفس ما جاء به يضادّ أهواءهم ولذاتهم وما هم عليه من الشبهات والبدع التي هي منتهى فضيلتهم وعملهم والشهوات التي هي غايات مقاصدهم وإراداتهم فكيف لا يكون المؤمن السائر إلى الله على طريق المتابعة غريباً بين هؤلاء الذين قد اتبعوا أهواءهم وأطاعوا شحهم وأعجب كلٌ منهم برأيه)(2) .

وإذا كانت الطائفة المنصورة: هي خلاصة ونقاوة الفرقة الناجية: فلا شك حينئذٍ في غربتها وقلتها بالنظر إلى مجموع الأمة، والله أعلم .

ـ ـ وقد قام الدليل على أن وصف " الجماعة " الموصوفة به الفرقة الناجية كما في حديث الفرق: يتحقق شرعاً باثنين:

* قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ يتصدق على هذا فيصلي معه "(3) .

والمراد بالتصدق هنا: هو أن يثيبه بانضمامه معه في الصلاة ثواب الجماعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " صلاة الجماعة تعدل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة "(4) .

فدلّ الحديث على أن الاثنين: جماعة، وقد صلى الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه رجل واحد فقط .

فدلت السنة العملية والقولية على أن الاثنين: جماعة .

قال البخاري رحمه الله: " اثنان فما فوقهما: جماعة "(5)، ويُروى هذا مرفوعاً(6) .

ـ ـ بل قد تنحصر الجماعة بوصفها الشرعي المعتبر والذي هو موافقة الحق في شخص واحد، وحينئذ فهذا الشخص وإن كان فرداً: هو الجماعة .

* وقد صحّ وصف النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الطائفة المنصورة بأنها: أمة من أمته كما جاء من حديث معاوية رضي الله عنه، قال: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لا يزال من امتي أمّة قائمةً بأمر

---

(1) " الغرباء للاجري/24 " .

(2) "مدارج السالكين لابن القيم198/2 " .

(3) من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه: " صحيح ابن حبان157/6, 158 ", "المستدرك328/1 ", " احمد45/3 ", "الدارمي367/1 ", "ابو داود157/1 ", "البيهقي الكبرى68/3 ", وغيرهم, والحديث صححه في "المجمع45/2 " .

(4) " البخاري231/1 ", "مسلم450/1 "عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(5) " البخاري234/1 " .

(6) انظر: " فتح الباري142/2 " .

الله ما يضرُّهم مَن كذَّبهم ولا مَن خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك "(1) .

* وعن سلمة بن نفيل الكندي_ رضي الله عنه_ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ولا يزال من أمتي: أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم، حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة "(2) .

وهذا الوصف: "أمة "كما يقوم بالعدد الكثير: يقوم كذلك بالعدد القليل بل قد يقوم بالشخص الواحد:

* قال تعالى: { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [النحل: 120] .

ـ ـ وقد اتفقت كلمة السلف على أن القائمين بالحق_ علماً وعملاً_ قد يكونون قلة بل قد يكون القائم بالحق: رجلاً واحداً:

* قال عبد الله بن مسعود_ رضي الله عنه_ لعمرو بن ميمون: "جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، والجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك "(3) .

* وقال نعيم بن حماد_ رحمه الله_: " إذا فسدت الجماعة: فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد الجماعة وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ "(4) .

* وقال الحسن البصري_ رحمه الله_: "إن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي: الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكونوا كذلك "(5) .

* وكان الحسن_ رحمه الله_ يقول: "يا أهل السنة ترفقوا_ رحمكم الله_, فإنكم من أقل الناس "(6) .

* وقال الإمام الأوزاعي_ رحمه الله_: " أما إنه ما يذهب الإسلام ولكن يذهب أهل السنّة حتى ما يبقى في البلد منهم إلاّ رجل واحد "(7) .

* وقال يونس بن عبيد_ رحمه الله_: " ليس شيء أغرب من السنّة وأغرب منها من يعرفها "(8) .

* وقال سفيان الثوري_ رحمه الله_: " استوصوا بأهل السنّة: فإنهم غرباء "(1) .

---

(1) " البخاري3/1331, 6/2714 " .

(2) " النسائي الكبرى3/35, 5/218 ", " المعجم الكبير7/52 ", " التاريخ الكبير4/70 " .

(3) " شرح اصول اعتقاد اهل السنة1/108, 169 " ، " تاريخ دمشق ابن عساكر13/642: 643 "، " تهذيب الكمال22/264 " .

(4) " تهذيب الكمال22/265 ", " تاريخ دمشق13/ 643 " .

(5) " شرح العقيدة الطحاوية/308 " .

(6) " شرح اصول اعتقاد اهل السنة1/57 " .

(7) " كشف الكربة في وصف حال اهل الغربة لابن رجب/28, 29 " .

(8) " المرجع السابق " .

* وكان سيان الثوري_ رحمه الله_ يقول: " إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة، وآخر بالمغرب: فابعث إليهما بالسلام، وادع لهما، ما أقلَّ أهلَ السنة والجماعة "(2).

قال ابن القيم_ رحمه الله_: [اعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم: هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده وإن خالفه أهل الأرض ...

وقال بعض أئمة الحديث_ وقد ذكر له السواد الأعظم_، فقال: أتدري ما السواد الأعظم: هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه .

فمسخ المختلفون الذين جعلوا السواد الأعظم، والحجة، والجماعة: هم الجمهور، وجعلوهم عياراً على السنة، وجعلوا السنة: بدعة، والمعروف: منكراً **لقلة أهله وتفردهم في الأعصار والأمصار**، وقالوا من شذ: شذ الله به في النار .

وما عرف المختلفون أن الشاذ ما خالف الحق وإن كان الناس كلهم عليه إلا واحداً منهم: فهم الشاذّون، وقد شذّ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل إلا نفراً يسيراً: فكانوا هم الجماعة وكانت القضاة حينئذ، والمفتون، والخليفة، وأتباعه كلهم: هم الشاذّون، وكان الإمام أحمد وحده: هو الجماعة، ولمّا لم يتحمل هذا عقول الناس: قالوا للخليفة: يا أمير المؤمنين، أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء، والمفتون كلهم على الباطل وأحمد وحده هو على الحق، فلم يتسع علمه لذلك: فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل .

فلا إله إلا الله: ما أشبه الليلة بالبارحة، وهي السبيل المهيع لأهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم: مضى عليها سلفهم، وينتظرها خلفهم من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي](3) .

---

(1) ا كشف الكربة في وصف حال اهل الغربة لابن رجب/28, 29 " .

(2) ا شرح اصول اعتقاد اهل السنة64/1 ", "تلبيس إبليس لابن الجوزي/9 " .

(3) " إعلام الموقعين397/3: 398 " .

الفصل الثاني

الطائفة المنصورة والعمل الجماعي

ـ ـ تمهيـد:

* قوله صلى الله عليه وسلم: " لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس " .

* وفي حديث جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة " .

* ومن حديث سلمة بن نفيل الكندي_رضي الله عنه_قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة "(1) .

فهذه الأحاديث وغيرها ممّا ورد في ذكر الطائفة المنصورة: دالة بذاتها على مشروعية العمل الجماعي للقيام بواجبات الدين: علماً وعملاً، دعوةً وجهاداً إذ من المعلوم ببداهة العقول أن هذه الواجبات العظيمة، والأمانات الجسيمة التي اضطلعت هذه الطائفة بالقيام بها، وشهد لها الشرع بناءً عليها شهادةَ مدحٍ وثناء: لا يمكن القيام بها على الوجه الأكمل الممدوح بصورة فردية، هذا بالإضافة لما في قوله صلى الله عليه وسلم: " طائفة "، "عصابة "، " أمة "من دلالة .

فأهل هذه الطائفة قد يكونون أفراداً كما قد يكونون جماعات إذ أساس الانتساب إلى هذه الطائفة: هو التحلي بما وصفها به الشارع من العلم والعمل، فمتى وجدت هذه الصفات: كان صاحبها من الطائفة المنصورة فرداً كان أم جماعة مع كون العمل الجماعي من مستلزمات القيام بواجبات الدين ولا بد خصوصاً في هذه الأزمنة المتأخرة حيث غاب الحكم الإسلامي الذي يجتمع حوله المسلمون للقيام بواجبات الدين، والله أعلم .

قال النووي_ رحمه الله_: [واما هذه الطائفة, فقال البخاري: هم اهل العلم، وقال احمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم، قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة, ومن يعتقد مذهب اهل الحديث .

قلت_ النووي_: ويحتمل ان هذه الطائفة مفرقة بين انواع المؤمنين؛ منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد, وامرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم اهل انواع اخرى من الخير, ولا يلزم ان يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في اقطار الارض](2) .

وقال ابن العربي_ رحمه الله_: [واما الطائفة المنصورة, فقيل: هم اصحاب الحديث, وقيل: هم العباد, وقيل:

---

(1) سبق تخريج هذه الاحاديث كلها .

(2) "شرح مسلم للنووي5/58: 59 " .

هم المناضلون على الحق بألسنتهم، وقيل: هم المجاهدون في الثغور بأسنَّتهم](1) .

ـ والحق: أن هذه الصفات المذكورة تمثل بمجموعها: مجموع صفات الطائفة المنصورة، ونصيب الفرد أو الجماعة من الانتساب لهذه الطائفة: بقدر ما قام به أو بها من هذه الصفات! والنسبة المطلقة هي لمن مَنّ الله عليه بالقيام بمجموع هذه الصفات، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ونتكلم_ إن شاء الله_ عن الطائفة المنصورة والعمل الجماعي من خلال ما يأتي:

---

(1) " عارضة الاحوذي 8/34 ", وانظر: " المفهم للقرطبي 3/763 " .

المبحث الأول

مشروعية العمل الجماعي

ـ وقد دلّ الشرع على مشروعية العمل الجماعي, وأهميته .

* قال تعالى: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [المائدة: 2] .

وعند التعاون لا بد من قانون شرعي يضبط هذا التعاون ويوجهه، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

[وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا, **ولا في الآخرة** إلا بالاجتماع, والتعاون والتناصر، فالتعاون, والتناصر على جلب منافعهم، والتناصر لدفع مضارهم، ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع .

فإذا اجتمعوا فلا بد لهم من: أمور يفعلونها ويجتلبون بها المصلحة, وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة: ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد، والناهي عن تلك المفاسد، **فجميع بني آدم لا بد لهم من طاعة آمر وناه** ...](1) .

وقال_ رحمه الله_: [وأمّا " رأس الحزب ": فإنه رأس الطائفة التي تتحزب، أي: تصير حزباً، فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله من غير زيادة ولا نقصان: فهم مؤمنون لهم ما لهم, وعليهم ما عليهم ...

فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف, ونهيا عن التفرقة والاختلاف, وأمرا بالتعاون على البر والتقوى, ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان](2) .

* وقال تعالى: { وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [آل عمران: 104] .

قال ابن جرير الطبري_ رحمه الله_: [يعني بذلك جلّ ثناؤه: ولتكن منكم أيها المؤمنون { أمة }, يقول: **جماعة يدعون الناس إلى الخير**؛ يعني: إلى الإسلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده, { ويأمرون بالمعروف }, يقول: يأمرون الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم, ودينه الذي جاء به من عند الله, { وينهون عن المنكر }, يعني: وينهون عن الكفر بالله, والتكذيب بمحمد, وبما جاء به من عند الله بجهادهم بالأيدي, والجوارح حتى ينقادوا لكم بالطاعة, وقوله: { وأولئك هم المفلحون }, يعني: المنجحون عند الله الباقون في جناته ونعيمه](3) .

وهذه: " الامة " القائمة بهذا الواجب تحتاج في احيان كثيرة إلى ان يكون هناك تعاون فيما بين افرادها للقيام بالواجبات المذكورة على خير وجه, فيأتي هنا ما سبق تقريره في الاية السابقة .

---

(1) " الفتاوى28/62: 65 " .

(2) " الفتاوى11/92 " .

(3) " تفسير الطبري4/38 " .

* وقال تعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ الله وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ الله إِنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [التوبة: 71] .

وهذه الآية الأخيرة: فيه إشارة ضمنية لمشروعية العمل الجماعي للقيام بواجبات الدين، ومن ذلك: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ لمّا كان هذا الأمر يقوم في الغالب على الشوكة, والقوة: ذكره الله عز وجل بعد تقريره لأصل الشوكة, والقوة عند المؤمنين، والتي هي: الموالاة الإيمانية والتي لا تتحقق إلا بتجمع المؤمنين وتعاونهم على القيام بما يجب عليهم من أمر دينهم .

ـ وقد قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ } [النساء: 59] .

* وقال تعالى: { وَلَوْ رَدُّوهُ إِلى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ } [النساء: 83].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: [و" أولوا الأمر": أصحاب الأمر وذووه، وهم الذين يأمرون الناس، وذلك يشترك فيه: أهل اليد والقدرة, وأهل العلم والكلام، فلهذا كان أولوا الأمر صنفين: العلماء, والأمراء, فإذا صلحوا: صلح الناس، وإذا فَسَدوا: فسد الناس كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه للأَحْمَسِيَّة لما سألته: ما بقاؤنا على هذا الأمر ؟, قال: ما استقامت لكم أئمتكم(1) .

ويدخل فيهم الملوك والمشايخ وأهل الديوان، وكل من كان متبوعاً: فإنه من أولي الأمر، وعلى كل واحد من هؤلاء: أن يأمر بما أمر الله به, وينهى عمّا نهى عنه، وعلى كل واحد ممن عليه طاعته: أن يطيعه في طاعة الله، ولا يطيعه في معصية الله](2) .

وكلامه ـ رحمه الله ـ فيه إقرار ظاهر لمشروعية ولايات أخر داخل الولاية العامة الكبرى، والتي هي ولاية أمر المسلمين من قبل الإمام الشرعي بل وكون هذه الولايات الأخر ممّا تشمله الآية السابقة(3) .

وهذا إن ساغ مع وجود الإمام الشرعي: فكونه سائغاً عند غيابه: أولى، والله أعلم .

ـــ ومن السنة النبوية:

* قوله صلى الله عليه وسلم من حديث عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ: " لا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلا امّروا عليهم احدهم "(4) .

* وقال صلى الله عليه وسلم ـ ايضاً ـ من حديث ابي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: " إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمِّروا عليهم أحدهم "(5) .

---

(1) " البخاري3/1393 " .

(2) " الفتاوى28/170 " .

(3) هذا مع بقاء الفرق في الاحكام المتعلقة بكل من النوعين، وخصوصية الولاية العامة الكبرى باحكامها دون تلك الولايات الاخر والتي لا تشاركها فيها .

(4) " احمد2/176 " .

(5) " ابو داود3/36"، " الاوسط8/100 "، " الطيالسي/286 "، وغيرهم، ورواه ابن حبان 10/383 "من حديث ابي الدرداء ـ رضي الله

ـ وجاء عن عبد الله بن مسعود_ رضي الله عنه_، قال: " إذا كنتم ثلاثة في سفر: فأمّروا عليكم أحدكم "(1).

* وعن عمر بن الخطاب_ رضي الله عنه_، قال: " إذا كنتم ثلاثة في سفر: فأمّروا عليكم أحدكم، **ذاك أمير أمّره رسول الله صلى الله عليه وسلم** "(2) .

فهذه الأحاديث, والآثار نص في مشروعيه العمل الجماعي للقيام بأمر السفر، ولا شك أن القيام بأمر الدين: علماً وعملاً، دعوةً وجهاداً: أهم وأعظم، فإذا شُرع العمل الجماعي في السفر: فمشروعيته للقيام بواجبات الدين الكبار: أولى وآكد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: [يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها, فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم " من حديث أبي سعيد، وأبي هريرة_ رضي الله عنهما_ .

وروى الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن عمرو_ رضي الله عنهما_، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا يحل لثلاثة يكونوا بفلاة من الأرض إلا أمَّروا عليهم أحدهم " .

فأوجب صلى الله عليه وسلم: تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر **تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع** ...](3) .

وقال_ أيضاً_ رحمه الله_: [وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع, والتعاون, والتناصر؛ فالتعاون والتناصر على جلب منافعهم، والتناصر لدفع مضارهم، ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع .

فإذا اجتمعوا: فلا بد لهم من أمور يفعلونها ويجتلبون بها المصلحة وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة: ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد، والناهي عن تلك المفاسد، فجميع بني آدم لا بد لهم من طاعة آمر وناه...

إلى أن قال:

ولهذا أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم أمته تولية ولاة أمور عليهم، وأمر ولاة الأمور أن يردوا الأمانات إلى اهلها، وإذا حكموا بين الناس ان يحكموا بالعدل، وامرهم بطاعة ولاة الامور في طاعة الله تعالى؛ ففي سنن ابي داود عن ابي سعيد_ رضي الله عنه_ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا احدهم " .

عنه_، ورواه ابو داود" 36/3"، والبيهقي "الكبرى257/5" من حديث ابي هريرة_ رضي الله عنه_.

(1) " الطبراني185/9 "، وقال في" المجمع249/5 ": [ورجاله: رجال الصحيح] .

(2) " البزار462/1"، وقال في" المجمع255/5 ": [ورجاله: رجال الصحيح خلا عمار بن خالد وهو: ثقة] .

(3) " الفتاوى390/28: 392 " .

وفي سننه ِ أيضاً ِ عن أبي هريرة ِ رضي الله عنه ِ مثله.

وفي مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو ِ رضي الله عنه ِ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **لا يحل** لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمَّروا أحدهم " .

فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات أن يولى أحدهم: كان هذا **تنبيهاً على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك**](1) .

ـ وبمعنى ما قاله شيخ الإسلام: قال الشوكاني ِ رحمه الله ِ, فبعد أن ذكر هذه الأحاديث السابقة قال:

[وفيها دليل على أنه يشرع لكل عدد بلغ ثلاثة فصاعداً أن يؤمّروا عليهم أحدهم لأن في ذلك السلامة من الخلاف الذي يؤدي إلى التلاف فمع عدم التأمير يستبد كل واحد برأيه, ويفعل ما يطابق هواه: فيهلكون، ومع التأمير: يقل الاختلاف وتجتمع الكلمة .

وإذا شرع هذا لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض أو يسافرون: فشرعيته لعدد أكثر يسكنون القرى, والأمصار ويحتاجون لدفع التظالم وفصل التخاصم: أولى وأحرى، وفي ذلك دليل لقول من قال إنه يجب على المسلمين نصب الأئمة, والولاة, والحكام](2) .

قلت: وفيه دليل على مشروعية العمل الجماعي مطلقاً للقيام بواجبات الدين كما بينّا، وقد مر معنا: قول شيخ الإسلام: [فأوجب صلى الله عليه وسلم: تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر **تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع** ...](3) .

وقوله ِ أيضاً ِ: [فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات أن يولى أحدهم: كان هذا **تنبيهاً على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك**](4) .

وإذا شُرع هذا عند وجود الإمام العام القائم بواجبات الدين: فشرعيته عند غيابه، وعند تعطل واجبات الدين بل وضياعها بالكلية: أولى, وأظهر ِ بلا شك ِ قياماً بهذه الواجبات، ونصحاً للإسلام والمسلمين, فلا يَعُد هناك معنىً للخلاف ! .

ـ وممّا يدل ِ كذلك ِ على مشروعية العمل الجماعي للقيام بواجبات الدين: كون الامة بمجموعها مخاطبة بإقامة الدين من: إقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، وإقامة الجمع والجماعات، والجهاد في سبيل الله وغير ذلك من احكام الدين، وكون هذه الواجبات معلقة بالإمام في الاصل: لا يعفي الامة من مسئوليتها، فلو تقاعس الإمام عن القيام بواجباته من إقامة الدين على الوجه الذي يحبه الله ويرضاه: فإن إثم عدم القيام بهذه الواجبات لا ينال الإمام وحده بل ينال الامة جميعها إذ ان هذه

---

(1) " الفتاوى28/62: 65 " .

(2) "نيل الاوطار9/157 " .

(3) " لفتاوى28/390: 392 " .

(4) الفتاوى28/62: 65 " .

الفروض الكفائية يأثم الجميع بتركها(1), ومِن ثم: وجب أن تقدم الأمة مَنْ يقوم بهذه الواجبات بصورة تتحقق معها الكفاية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: [خاطب الله المؤمنين بالحدود والحقوق خطاباً مطلقاً كقوله تعالى: { وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا }, وقال تعالى: { الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا }, وقوله: { وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ }, وكذلك قوله: { وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً } .

لكن قد عُلم أن المخاطب بالفعل لا بد أن يكون قادراً عليه، والعاجزون لا يجب عليهم، وقد عُلِمَ أن هذا فرض على الكفاية، وهو مثل الجهاد بل هو نوع من الجهاد .

فقوله: { كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ }، وقوله: { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ الله } وقوله: { إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ }, ونحو ذلك: هو فرض على الكفاية من القادرين, والقدرة هي السلطان، فلهذا: وجب إقامة الحدود على ذي السلطان ونوابه.

والسنة أن يكون للمسلمين إمام واحد، والباقون نوابه، فإذا فُرض أن الأمة خرجت عن ذلك لمعصية من بعضها، وعجز من الباقين أو غير ذلك فكان لها عدة أئمة: لكان يجب على كل إمام أن يقيم الحدود، ويستوفي الحقوق، ولهذا قال العلماء: إن أهل البغي يَنْفُذ من أحكامهم ما ينفذ من أحكام أهل العدل، وكذلك لو شاركوا الإمارة وصاروا أحزاباً: لوجب على كل حزب فعل ذلك في أهل طاعتهم .

فهذا عند تفرق الأمراء وتعددهم، وكذلك لو لم يتفرقوا لكن طاعتهم للأمير الكبير ليست طاعة تامة، فإن ذلك_ أيضاً_ إذا أسقط عنه إلزامَهم بذلك: لم يَسقط عنهم القيامُ بذلك بل عليهم أن يقيموا ذلك .

وكذلك لو فرض عجز بعض الأمراء عن إقامة الحدود والحقوق أو إضاعته لذلك: **لكان ذلك الفرض على القادر عليه** .

وقول من قال: لا يقيم الحدود إلا السلطان ونوابه: إذا كانوا قادرين, فاعلين بالعدل كما يقول الفقهاء: الأمر إلى الحاكم: إنما هو العادل القادر، فإذا كان مُضيِّعاً لأموال اليتامي أو عاجزاً عنها: لم يجب تسليمها إليه مع إمكان حفظها بدونه, وكذلك الأمير إذا كان مضيعاً للحدود أو عاجزاً عنها: لم يجب تفويضها إليه مع إمكان إقامتها بدونه .

والأصل: أن هذه الواجبات تُقام على أحسن الوجوه فمتى أمكن إقامتها مع أمير: لم يحتج إلى اثنين، ومتى لم يقم بعدد, **ومن غير سلطان**: أقيمت إذا لم يكن في إقامتها فساد يزيد على إضاعتها، فإنها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, فإن كان في ذلك من فساد ولاة الامر او الرعية ما يزيد على إضاعتها: لم يدفع بافسد منه, والله اعلم](2) .

_ وقد اتفاق اهل العلم على ان ما لا يتم الواجب إلا به فهو: واجب، ولمّا كان القيام بواجبات الدين_ علماً وعملاً, دعوة وجهاداً_ ممّا لا يتم إلا بالقوة والشوكة اللتين هما ثمرة الاجتماع: كان هذا الاجتماع ممّا يدخل في معنى الواجب .

---

(1) عند العلم, والقدرة .

(2) " الفتاوى175/34, 176 " .

قال شيخ الإسلام وهو يتحدث عن مشروعية الاجتماع للقيام بواجبات الدين:

[ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، **ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة** .

وكذلك سائر ما أوجبه من: الجهاد، والعدل، وإقامة الحج والجمع والأعياد، ونصر المظلوم، وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة ...

إلى قوله:

فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله، فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات ...](1) .

ـ وإذا كان هذا الاجتماع مشروعاً للقيام بواجبات الدين عند تقاعس الإمام وتقصيره في القيام بهذه الواجبات: فكونه مشروعاً عند غياب الإمام، وتعطل أحكام الدين بالكلية: ممّا لا يقبل النزاع، والله أعلم .

قال إمام الحرمين الجويني_ رحمه الله_: [وإذا لم يصادف الناس قوّاماً بأمورهم يلوذون به: فيستحيل أن يُؤمروا بالقعود عمّا يقتدرون عليه من دفع الفساد، فإنه لو تقاعدوا عن الممكن: عمّ الفساد البلاد والعباد ...

إلى أن قال:

وقد قال بعض العلماء: لو خلا الزمان عن السلطان فحق على قُطان كل بلدة وسكان كل قرية أن يقدموا من ذوي الأحلام والنهى وذوي العقول والحجا: مَنْ يلتزمون امتثال إشاراته وأوامره، وينتهون عند مناهيه ومزاجره فإنهم لو لم يفعلوا ذلك ترددوا عند إلمام المهمات وتبلدوا عند إظلال الواقعات](2) .

ـــ وقد مارس أئمة الطائفة المنصورة عبر تاريخ الأمة: العملَ الجماعي قياماً بواجبات الدين من: الدعوة، والتعليم، والإرشاد، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن الجهاد في سبيل الله، ومن إقامة الحدود والاحكام :

* قال الزهري في ترجمة الصحابي هشام بن حكيم بن حزام القرشي_ رضي الله عنه_: " كان يأمر بالمعروف في **رجال معه** "(3) .

* ونحو ذلك ما جاء في ترجمة عبد الرحيم بن محمد العلثي البغدادي الفقيه المحدث الزاهد، قالوا: " كان شيخاً جليلاً، عالماً، عارفاً، من أجل شيوخ الحديث، ملتزماً بالسنة، زاهداً، ذا فضل وورع وأدب وعلم .

وقال البرزالي عنه: محدث بغداد في وقته، موصوف باتباعه السنة ونصرها والذب عنها .

قال الذهبي: **وله أتباع وأصحاب** يقومون في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر "(4) .

---

(1) " الفتاوى28/390: 392 " .

(2) " غياث الامم/387: 388 " .

(3) "تهذيب التهذيب 11/ 37 " .

(4) "ذيل طبقات الحنابلة 2/ 316 " .

* ومن روائع صفحات أهل العلم هنا: ما ذكره ابن الجوزي, قال:

[قال ابن عقيل: رأينا في زماننا: أبا بكر الأقفالي في أيام القائم إذا نهض لإنكار منكر: **استتبع معه مشايخ**: لا يأكلون إلا من صنعة أيديهم: كأبي بكر الخباز: شيخ صالح أضر من اطلاعه في التنور, **وتبعه جماعة** ما فيهم أحد يأخذ الصدقة, ولا يدنس بقبول عطاء, صوام النهار, قوام الليل, أرباب بكاء, فإذا تبعه مخلط: رده, وقال: متى لقينا الجيش بمخلط: انهزم الجيش](1) .

ـ ومن كبار أئمة الطائفة المنصورة الذين مارسوا هذا الفقه_ فقه العمل الجماعي_ بأظهر صوره, وأشملها للقيام بواجبات الدين: شيخ الإسلام، وعلم الأعلام: أبو العباس تقي الدين ابن تيمية:

فكان للإمام_ رحمه الله_ جماعة من أصحابه وأتباعه يحتسب بهم: دعوةً إلى الله، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، وجهاداً في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا .

قال ابن كثير_ رحمه الله_ في أحداث سنة 699 هـ:

[وفي يوم الجمعة سابع عشر رجب أعيدت الخطبة بدمشق لصاحب مصر ففرح الناس بذلك، وكان يخطب لقازان بدمشق, وغيرها من بلاد الشام مائة يوم سواء .

وفي بكرة يوم الجمعة المذكور: دار الشيخ تقي الدين بن تيمية_ رحمه الله_ **وأصحابه** على الخمارات, والحانات: فكسروا آنية الخمور وشققوا الظروف وأراقوا الخمور, وعزروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش، وفرح الناس بذلك] .

ويقول ابن كثير_ أيضاً_ في أحداث عام 701 هـ:

[وفي هذا الشهر _شهر شوال من عام 701 هـ _ ثار جماعة من الحسدة على الشيخ تقي الدين, وشكوا منه أنه: **يقيم الحدود, ويعزّر, ويحلق رؤوس الصبيان, وتكلم هو_ أيضاً_ فيمن يشكو منه ذلك, وبين خطأهم** ثم سكنت الأمور](2) .

وليس هناك أبلغ من هذا في الدلالة على ممارسة الإمام_ رحمه الله_ للعمل الجماعي، وأنه كان له جماعة, وانصار للقيام بواجبات الدين من: إقامة الحدود، وإنكار المنكر باليد، وتعزير اصحابه: لا يصرفه عن ذلك: لوم لائم، ولا حسد حاسد بل كان_ رحمه الله_ قائماً هو ومن معه من أصحابه بما يستطيعون من أمر الله لا يضرهم في ذلك من خالفهم, ولا من خذلهم .

ـ وقد كانت جماعة شيخ الإسلام هذه_ راساً, واتباعاً_ تأخذ نصيبها من الابتلاء في سبيل الحق الذي تقوم به علماً وعملاً, دعوة وجهاداً:

قال ابن كثير_ رحمه الله_ في احداث سنة 726 هـ:

[وفي يوم الاربعاء منتصف شعبان: امر قاضي القضاة الشافعي **في حبس جماعة من اصحاب الشيخ ابن**

---

(1) " تلبيس إبليس/145 " .

(2) " البداية والنهاية19/14 " .

تيمية في سجن الحكم، وذلك بمرسوم نائب السلطنة وإذنه له فيه فيما تقتضيه الشريعة في أمرهم .

وعزّر جماعة منهم على دواب، ونودي عليهم ثم أطلقوا سوى شمس الدين بن محمد بن قيم الجوزية فإنه حبس بالقلعة](1) .

ـ وأما ابتلاء الرأس الإمام: فأشهر من أن نشير إليه, فهو_رضي الله عنه, وأرضاه_ (لم ينتقل طول عمره من محنة إلا إلى محنة إلى أن فُوّض أمره لبعض القضاة, فقلد ما تقلد من اعتقاله ولم يزل بمحبسه ذلك إلى حين ذهابه إلى رحمة الله تعالى)(2) .

وقد كتب شيخ الإسلام وهو في سجن الإسكندرية رسالة إلى " جماعته " هذه يقول فيها:

[{ وأما بنعمة ربك فحدث } والذي أُعَرِّفُ به الجماعة_ أحسن الله إليهم في الدنيا والآخرة, وأتم عليهم نعمته الظاهرة والباطنة_ فإني_ والله العظيم الذي لا إله إلا هو_ في نِعَمٍ من الله ما رأيت مثلها قط في عمري كله، وقد فتح الله سبحانه وتعالى أبواب فضله، ونعمته, وخزائن جوده، ورحمته ما لم يكن بالبال ولا يدور في الخيال ...] .

وبعد استطراد من الإمام في وصف ما فتح الله عليه به في هذا الابتلاء بما تتقلب معه المحنة إلى منحة، يقول: [وأنا في هذا المكان_ يعني سجن الإسكندرية_ أعظم قدراً، وأكثر عدداً ما لا يمكن حصره وأكثر ما ينقص عليّ: **الجماعة**، فأنا أحب لهم أن ينالوا من اللذة والسرور والنعيم ما تقر به أعينهم ...] .

ثم يقول مخاطباً جماعته:

[والمقصود: إخبار **الجماعة** بأن نعم الله علينا فوق ما كانت بكثير كثير، ونحن بحمد الله في زيادة من نعم الله، وإن لم يكن خدمة **الجماعة** باللقاء، فأنا داع لهم بالليل, والنهار قياماً ببعض اواجب من حقهم، وتقرباً إلى الله تعالى في معاملته فيهم ...] .

ثم يختم رسالته_ رحمه الله_ بتوجيه نصحه, وإرشاده بل وأمره إلى هؤلاء الصحب البررة فيقول:

[والذي **امر** به كل شخص منهم أن يتقي الله، ويعمل لله: مستعينا بالله، مجاهداً في سبيل الله، ويقصد بذلك أن تكون كلمة الله هي العليا، وان يكون الدين كله لله](3) .

---

(1) " البداية123/14 " .

(2) " العقود الدرية في مناقب ابن تيمية/27 " .

(3) " الفتاوى30/28: 46 " .

المبحث الثاني

ضوابط العمل الجماعي عند الطائفة المنصورة

العمل الجماعي عند الطائفة المنصورة وسيلة لا غاية، بمعنى: أنه إنما شُرع لإقامة الدين: بصرف العبادة لله وحده، وصرف المتابعة لنبيه صلى الله عليه وسلم، فهو: وسيلة لغاية أعظم, وأكبر .

ومتى أخلّ العمل الجماعي بإقامة الدين: إحداثاً وابتداعاً أو اتباعاً للرجال دون الحق أو صرفاً للولاء لغير الله ورسوله ودينه أو تقصيراً وقعوداً عن القيام بالواجب وتركاً لما أمر الله به ورسوله: فقد خرج عن الغاية التي شُرع من أجلها، وعاد على أصله بالإبطال .

ومن ثم: كانت هناك جملة من الضوابط الشرعية التي تحكم العمل الجماعي عند الطائفة المنصورة وتوجهه حفظاً عليه، وتحقيقاً للغاية التي شُرع لها, وبغير هذه الضوابط: يغدو العمل الجماعي بلاءً_ وأي بلاء_ على الدين وأهله بما يَفقد معه أصحابُه محلهم في قافلة الطائفة المنصورة .

ونتكلم_ بإذن الله تعالى_ عن أهم هذه الضوابط في المطالب الآتية؛ فنقول:

المطلب الأول

الإخلاص لله وحده

ـ ـ الإخلاص: هو قصد الله تعالى وحده لا شريك له بالعبادة بالتبري عن كل ما دون الله، وتخليص القصد, والنية من كل غرض ينافي ذلك .

فالإخلاص: هو تخليص النية والعمل من كل قصد غير رضا الله سبحانه وتعالى .

* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امريء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله: فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو إمرأة ينكحها: فهجرته إلى ما هاجر إليه "(1) .

ـ والإخلاص: هو حقيقة الإسلام، والإيمان، والإحسان، وهو حقيقة التوحيد: أوله، ومنتهاه، وهو روح الأعمال ولبها، ولذلك كان أكثر الأعمال: أمراً به، وحثاً عليه، ونهياً عن ضده؛ ومن ذلك:

* قوله تعالى: { هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [غافر: 65] .

* قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } [البينة: 5] .

* وقال تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدْ الله مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ }

[الزمر: 2_ 3] .

* وقال تعالى: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ الله مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ } [الزمر: 11] .

* وقال تعالى: { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً } [الكهف: 110].

فالعمل لا يكون إلا لله: منه الصدور، وإليه الورود، فلا يُبتغى بالعمل غيره سبحانه: من حزب أو طائفة أو زعيم او مطاع او غير ذلك ممّا ينافي الإخلاص ويضاده، فجميع الإرادات: **لا** بد ان تكون منحصرة في إرادة وجهه سبحانه وتعالى وحده .

فالمحرك للعمل سلباً وإيجاباً: إرادة وجه الله، والسعي لنيل رضاه، والرغبة في نصر دينه لا غير .

* عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " يا رسول الله: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليُذْكَر، والرجل يقاتل ليُرَى مكانه وفي رواية: يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية فمن في سبيل الله ؟ " .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قاتل لتكون **كلمة الله** هي العليا: فهو في سبيل الله "(2) .

---

(1) " البخاري1/3, 30 "وغيرها, "مسلم1515/3 " .

(2) " البخاري58/1, 1034/3 ", "مسلم1512/3, 1513 " .

فالعمل إنما هو لإعلاء كلمة الله وحده، ومن كان عمله: لحزبه وطائفته أو زعيمه ومطاعه: فقد خاب سعيه، وخسر خسراناً مبيناً، وجعل لله أنداداً، وكان فيه من الشرك بحسب ذلك .

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة سبحانه: " قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه غيري: فأنا بريءٌ منه، وهو كله للذي أشرك "(1) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: [وتحقيق ذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أوجب الأعمال، وأفضلها وأحسنها، وقد قال تعالى: { ليبلوكم أيكم أحسن عملاً }, وهو كما قال الفضيل بن عياض_ رحمه الله_: أخلصه وأصوبه، فإن العمل إذا كان خالصاً, ولم يكن صواباً: لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص: أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة .

فالعمل الصالح لا بد أن يُراد به وجه الله تعالى، فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه وحده، كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريءٌ منه وهو كله للذي أشرك "رواه مسلم](2) .

ـ ـ ومن خلّط في نيته(3): فكان عمله لله ولغيره: نصرةً لحزب أو إرضاءً لأمير أو طلباً لمحمدة أو غير ذلك من حظوظ النفس وأهوائها: فعمله مردود غير مقبول، وسعيه ضائع، وجهده في غير محل إذ الله سبحانه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه .

* عن معاذ بن جبل_ رضي الله عنه_ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " الغزو: غزوان؛ فأمّا من ابتغى وجه الله, وأطاع الإمام, وأنفق الكريمة, وياسر الشريك, واجتنب الفساد: فإن نومه, ونبهه أجر كله, وأمّا من غزا فخراً, ورياءً, وسمعةً, وعصى الإمام, وأفسد في الأرض: فإنه لن يرجع بكفاف "(4) .

* وعن أبي أمامة_ رضي الله عنه_ قال: " جاء رجل فقال: يا رسول الله، أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر، ما له ؟ .

قال صلى الله عليه وسلم: لا شيء له .

فأعادها: ثلاثاً، كل ذلك يقول: لا شيء له ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً، وابتغى به وجهه "(5) .

* وقوله تعالى: { الا لله الدين الخالص } يدل على ان العمل إن لم يكن خالصاً: فليس لله، ولا يقبله، ولا ينفع

---

(1) "مسلم 2289/4 " .

(2) "مجموع الفتاوى 134/28 " .

(3) انظر تفصيل حالات التخليط في النية: "إعلام الموقعين 162/2: 163 " .

(4) " المستدرك 94/2 ", " الدارمي 274/2 ", " البيهقي الكبرى 168/9 ", " ابو داود 13/3 ", " النسائي الكبرى 33/3, 432/4 ", " احمد 234/5 ", " المعجم الكبير 91/20 " .

(5) " النسائي 18/3 ' من حديث ابي امامة_ رضي الله عنه_ بإسناد جيد .

صاحبه .

ـ هذا، مع كون العمل نصرةً لحزب وطائفة أو زعيم ومطاع لا لله وحده: من عصبية الجاهلية التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما بال دعوى الجاهلية ؟... دعوها فإنها مُنْتِنة "(1) .

* وقال صلى الله عليه وسلم: " من قُتِل تحت راية عُمِّيَّة: **يغضب للعصبة, ويقاتل** للعصبة: ليس من أمتي"(2).

* وقال صلى الله عليه وسلم: "من قُتِل تحت راية عِمِّيَّة: **يدعو عصبية أو ينصر عصبية**: فقِتْلة جاهلية"(3) .

ـــ ولضعف الإخلاص في العمل علامات ظاهرة تدل عليه؛ منها:

ـ ـ ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله _ عن أقوام من أن همّهم: [أن ينتصر جاههم أو رياستهم، وما نُسِبَ إليهم لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله .

بل يغضبون على من خالفهم وإن كان مجتهداً معذوراً لا يغضب الله عليه، ويرضون عمن يوافقهم **وإن كان جاهلاً** سيئ **القصد ليس له علمٌ, ولا حسن قصد**، فيفضي بهذا إلى أن: يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله، ويذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم **لا** على دين الله ورسوله ...., **ومن هنا**: تنشأ **الفتن بين الناس**](4) .

ـــ ومن ذلك كذلك: البحث عن صالح " الجماعه " أو " الحزب " وتقديمه وإن كان ذلك على حساب الصالح العام للإسلام والمسلمين بل وأدهى من ذلك وأمر: البحث عن صالح " الجماعة " أو " الحزب " وتقديمه ولو ترتب على ذلك الضرر بل والضرر البالغ بالصالح العام للإسلام والمسلمين إذ النظر لـ"الجماعة " لا غير، و" الجماعة ": هي الإسلام، والإسلام: هو " الجماعة "، في سلسلة من الممارسات، والتنظيرات تُدمي القلب وتُقرّح ممّا تترشح معه " الجماعة "لتكون وبجدارة صنماً يُعبد من دون الله .

قال ابن هبيرة رحمه الله: " إن من مكائد الشيطان أن يقيم **أوثاناً في المعنى تُعبد من دون الله** مثل أن يتبين له الحق، فيقول: ليس هذا مذهبنا تقليداً لمعظم عنده قد قدّمه على الحق "(5) .

ـ ـ ومن علامات ضعف الإخلاص كذلك فرح النفس وسرورها بخطأ الاخرين من العاملين للدين الساعين لنصره؛ فيفرح العبد بزلات إخوانه وأغلاطهم، وفي المقابل: يثقل ويشتد عليه أن يجري الله الحق على السنتهم او ان يُظهره على ايديهم .

والاصل (ان المؤمنين مشتركون في جميع مصالحهم ودفع مضارهم: يفرحون بحصولها **ولو على يد**

---

(1) " البخاري4/1861, 1863 "، " مسلم4/1998, 1999 " عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(2) " مسلم3/1477 " عن ابي هريرة رضي الله عنه .

(3) " مسلم3/1378 " عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه .

(4) "منهاج السنة النبوية5/255 " .

(5) " العقد الياقوتية/104 " .

غيرهم من إخوانهم المؤمنين، ويألمون بفقدها، ويسعون جميعاً في كل أمر يُصلحون به دينهم ودنياهم)[1].

ـ وهذا البلاء الأعظم، والداء الأسود من أعظم قوادح الإخلاص الدالة على قلة الدين ورقته إذ لو خلصت نية العبد لله حقاً: لأحب نصرة الإسلام ورفعته ولو على يد أبغض الناس إليه، وأبعدهم من نفسه، ومثل هذا في الحقيقة: إنما يعمل لنفسه أو حزبه لا لله ودينه .

* وكان الإمام الشافعي_ رحمه الله_ يقول: " ما ناظرتُ أحداً قط إلا أحببتُ أن يوفق ويسدد ويعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحداً إلا ولم أبال بَيّن الله الحق على لساني أو لسانه "[2] .

* وقد استحسن الإمام أحمد ما حكي عن حاتم الأصم أنه قيل له: أنت رجل أعجمي لا تفصح، وما ناظرك أحد إلا قطعته، فبأي شيء تغلب خصمك ؟ .

فقال_ رحمه الله_: " بثلاث: أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ لساني عنه أن أقول له ما يسوؤه "، فقال الإمام أحمد: " ما أعقله من رجل "[3] .

ــ وقد ذكر الغزالي هنا ما يصلح أن يكون أصلاً يقاس عليه غيرُه هذا مع صلته الشديدة لما نحن فيه:

قال_ رحمه الله_: [الباعث للأكثرين على نشر العلم: لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء، والشيطان يُلبّس عليهم ذلك ويقول: غرضكم نشر دين الله والنضال عن الشرع الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وترى الواعظ يَمُنّ على الله تعالى بنصيحة الخلق ووعظه للسلاطين، ويفرح بقبول الناس قوله وإقبالهم عليه، وهو يَدّعي أنه يفرح بما يُسر له من نصرة الدين، ولو ظهر من أقرانه مَن هو أحسن منه وعظاً وانصرف الناس عنه وأقبلوا عليه: **ساءه ذلك وغمّه، ولو كان باعثه الدين: لشكر الله تعالى إذ كفاه الله تعالى هذا المهم بغيره** ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه، ويقول: إنما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك إلى غيرك إذ لو اتعظوا بقولك لكنتَ أنت المثاب، واغتمامك لفوات الثواب محمود، ولا يدري المسكين أنّ انقياده للحق وتسليمه الأمر: أفضل وأجزل ثواباً وأعود عليه في الآخرة من انفراده .

وليت شعري لو اغتمّ عمر رضي الله عنه بتصدّي ابي بكر رضي الله تعالى عنه للإمامة: أكان غمّه محموداً أم مذموماً ؟, ولا يستريب ذو دين أنْ لو كان ذلك: لكان مذموماً لان انقياده للحق وتسليمه الأمر إلى مَن هو اصلح منه: اعود عليه في الدين من تكفّله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرحَ عمرُ رضي الله عنه باستقلال مَنْ هو اولى منه بالامر، فما بال العلماء لا يفرحون بمثل ذلك ؟! ...

فمعرفة حقيقة الإخلاص والعمل به: بحر عميق يغرق فيه الجميع إلا الشاذ النادر والفرد الفذ، وهو المستثنى في قوله تعالى: { إلا عبادك منهم المخلصين }، فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق وإلا التحق

---

(1) "تفسير السعدي/108 " .

(2) " الحلية9/118 "، " صفوة الصفوة2/251 " .

(3) " الإحياء للغزالي1/65 " .

بِتّباع الشياطين وهو لا يشعر][1] .

ـــ ومن علامات ضعف الإخلاص_ كذلك_ ونقصه: التمسك بالحق وتحريه عندما يكون الحق موافقاً للنفس وما تهواه، فإن كان الحق مخالفاً لهوى النفوس: فالإعراض التام، فلا يُرفع بالحق رأساً، ولا يُقدّر له قدراً، وحقيقة الحال هنا: أن المتَّبَع_ أساساً_: هو أهواء النفوس ورغباتها، فعليها المعوّل، ولها الانتصار، وما الحق هنا إلا لبوس يبرّر من خلاله الهوى ويمرّر .

* قال تعالى: {وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }

[النور: 48_ 51] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ }, أي: إلى حكم الشرع { مُذْعِنِينَ } وليس ذلك لأجل أنه حكم شرعي, وإنما ذلك لأجل موافقة أهوائهم فليسوا ممدوحين في هذه الحال, ولو أتوا إليه مذعنين لأن العبد حقيقة: من يتبع الحق فيما يحب ويكره, وفيما يسره ويحزنه وأما الذي يتبع الشرع عند موافقة هواه, وينبذه عند مخالفته, ويقدم الهوى على الشرع: فليس بعبد لله على الحقيقة][2] .

* وقال تعالى_ أيضاً_: { يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدْ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدْ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ } [المائدة: 41] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [أي: هذا قولهم عند محاكمتهم إليك؛ لا قصد لهم إلا اتباع الهوى يقول بعضهم لبعض: إن حكم لكم محمد بهذا الحكم الذي يوافق هواكم, فاقبلوا حكمه, وإن لم يحكم لكم به: فاحذروا أن تتابعوه على ذلك وهذا فتنة واتباع ما تهوى الأنفس ...

{ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ }, أي: وذلك صدر منهم ما صدر؛ فدل ذلك على أن من كان مقصوده بالتحاكم إلى الحكم الشرعي اتباع هواه, وأنه إن حكم له رضي, وإن لم يحكم له: سخط: فإن ذلك من عدم طهارة قلبه كما ان من حاكم, وتحاكم إلى الشرع, ورضي به_ وافق هواه او خالفه_: فإنه من طهارة القلب؛ ودل على أن طهارة القلب: سبب لكل خير, وهو أكبر داع إلى كل قول رشيد, وعمل سديد][3].

_ وهذا المسلك: هو مسلك اهل الاهواء قديماً وحديثاً الذين جعلوا الانتصار اساساً لاهوائهم وارائهم ثم النظر بعد: للدليل الشرعي .

قال الشاطبي_ رحمه الله_: [ولذلك سمي اهل البدع: اهل الاهواء لانهم اتبعوا اهواءهم, فلم ياخذوا الادلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها حتى يصدروا عنها بل قدموا اهواءهم، واعتمدوا على ارائهم ثم

---

(1) " الإحياء للغزالي4/380: 381 " .

(2) "تفسير السعدي/410 " .

(3) "تفسير السعدي/143 " .

جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك]"[1] .

ـــ وهذا كله مناقض لحقيقة الإخلاص الذي أُمرنا به .

* قل إبراهيم بن أدهم_ رحمه الله_: " الإخلاص: صدق النية مع الله تعالى .

وقيل لسهل: أي شيء أشد على النفس ؟، فقال: الإخلاص إذ ليس لها فيه نصيب .

وقيل: الإخلاص: دوام المراقبة, ونسيان الحظوظ كلها .

قال الغزالي_ رحمه الله_: وهذا هو البيان الكامل "[2] .

ـ ـ وفقدُ الإخلاص: سبب كل آفة، ومصدر كل سوء، وعند العارفين: قرينُ الهلاك، ولذلك قال داود الطائي: ' رأيت الخير كله إنما يجمعه: حسن النية "[3] .

* ورُوي أن عمر بن الخطاب مرّ على معاذ بن جبل_ رضي الله عنهما_, فقال له: " ما قوام هذه الأمة ؟ .

قال معاذ: ثلاث, وهنّ المنجيات: الإخلاص، وهي الفطرة- فطرة الله التي فطر الناس عليها_، والصلاة, وهي الملّة، و الطاعة, وهي العصمة .

فقال عمر: صدقت "[4] .

ـ ـ ومن ثم: وجب خلوص النية في العمل من جميع الشوائب، والأغراض، والحظوظ، وأن يتحقق العبد من نفسه: كونه لا يريد بعمله حقاً إلا الله .

وهذا لا يكون إلا بمجاهدة النفس، ومراقبتها، ومحاسبتها، وحملها على الإخلاص حملاً وإن كرهت إذ الإخلاص: شديد على النفس غاية الشدة إذ ليس لها فيه نصيب، وإذا كان الإخلاص: دوام المراقبة، ونسيان الحظوظ كلها: عُلِمَ مبلغ شدته على النفس حقاً، ومبلغ معاناتها عند تعاطيها له، وفُهِمَ عندئذ قول يوسف بن أسباط_ رحمه الله_: ' إيثار الله عز وجل: افضل من القتل في سبيل الله "[5] .

* وقد قال أيوب السّختياني_ رحمه الله_: " تخليص النيّات على العُمّال أشدّ عليهم من جميع الأعمال "[6] .

* وكان الإمام العلم سفيان الثوري_ رحمه الله_ يقول: ' ما عالجت شيئا اشدّ على من نيتي لانها تتقلب

---

(1) " الاعتصام398/2 " .

(2) " إحياء علوم الدين402/4: 403 " .

(3) " جامع العلوم والحكم/13" .

(4) "تفسير الطبري40/21 "، "تفسير ابن كثير434/3 " .

(5) " جامع العلوم والحكم/13" .

(6) " إحياء علوم الدين4/ 399 " .

علي"[1] .

* وعن يوسف بن أسباط_ رحمه الله_، قال: " تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد"[2] .

---

(1) "جامع العلوم والحكم/13 " .

(2) " المرجع السابق ' .

المطلب الثاني

الاعتصام بالكتاب والسنة[1]

والاعتصام بالكتاب والسنة: هو السّياج الذي يحمي العمل الجماعي من التردي في مهاوي الانحراف: فيكون الضياع .

وقد قام الشرع المطهر وتواترت وتواطئت موارده على الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة، والنهي عن ضده من الإحداث في الدين، والتقديم بين يدي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، (فلم نجد في كتاب الله وسنة رسوله وآثار صحابته إلا الحث على الاتباع, وذم التكلف والاختراع)[2] .

* قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا } [آل عمران: 103] .

والآية نص ظاهر في وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة، إذ هما حبل الله الذي أمرنا به .

* وقال تعالى: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [الأنعام: 153] .

فأمر سبحانه باتباع سبيل واحد، وهو صراطه المستقيم، ونهى عن اتباع السبل المخالفة له من الآراء, والأهواء .

* عن عبد الله بن مسعود_ رضي الله عنه_، قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً, ثم خط خطوطاً: يميناً وشمالاً, ثم قال: " هذه سبل: على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه, ثم قرأ: { وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله } "[3] .

* وقد قال تعالى: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً } [الأحزاب: 36] .

_ وقد بَيّن تعالى أن عاقبة الاعتصام بشرعه ودينه: هي الفلاح, والرشاد، والفوز في الدنيا والاخرة:

* فقال تعالى: {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِالله فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [ال عمران: 101] .

و(الاعتصام: التمسك والتعلق, فالاعتصام بالله: التمسك بعهده وميثاقه الذي عهد في كتابه إلى خلقه من طاعته, وترك معصيته)[4] .

---

(1) يأتي حديث موسع عن الاعتصام بالكتاب, والسنة كصفة مستقلة من اهم صفات الطائفة المنصورة, وما ذكر هناك: متمم, ومكمل لما ذكر هنا .

(2) " شرح اصول اعتقاد اهل السنة22/1 " .

(3) انظر كلام ابن كثير_ رحمه الله_: " التفسير191/2 " .

(4) "تفسير الطبري339/5 " .

قال ابن كثير_ رحمه الله_: [أي ومع هذا, فالاعتصام بالله, والتوكل عليه: هو العمدة في الهداية, والعدة في مباعدة الغواية, والوسيلة إلى الرشاد, وطريق السداد, وحصول المراد](1) .

ـ كما أثنى تعالى على من تمسك بكتابه الذي يقوده إلى اتباع رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما هو مكتوب فيه، فقال تعالى: { والذين يمسكون بالكتاب }، أي: اعتصموا به، واقتدوا بأوامره، وتَركوا زواجره، { وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين } [الأعراف: 170])(2) .

ـــ وعن أبي هريرة_رضي الله عنه_، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً, وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا, ويكره لكم قيل وقال, وكثرة السؤال وإضاعة المال "(3) .

وقوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: " وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ": هو تماماً كقوله تعالى: { واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا }، و" حبل الله ": هو الكتاب والسنة، فيشمل ذلك: كل ما جاء به صلى الله عليه وسلم من: الاعتقاد، والقول، والعمل، وهذا ما أمرنا بالاعتصام به .

* وقد قال صلى الله عليه وسلم: " تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً: كتاب الله, وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم "(4) .

* وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث العرباض بن سارية_رضي الله عنه_: " فإنه من يعش منكم, فسيرى اختلافاً كثيراً: فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي: عضوا عليها بالنواجذ..." الحديث(5) .

ـــ وقد بيّن تعالى انه لم يُحوج عباده لشيء غير ما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة، فقد أكمل لهم الدين وأحكمه، وما من شيء هو لهم هدى وصلاح في الدنيا والاخرة: إلا وقد جاءهم منه من العلم ما هو أكمل وأهدى من غيره بل بما لا يقارن به غيره، فأغنى الله سبحانه وتعالى أمة نبيه صلى الله عليه وسلم عن أن تستهدي في أي أمر من أمورها بغير الكتاب والسنة من علوم الخلائق وسياساتهم .

* قال تعالى: { مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ } [الأنعام: 38] .

قال القرطبي_ رحمه الله_: [أي: في اللوح المحفوظ فإنه أثبت فيه ما يقع من الحوادث, وقيل: أي في

---

(1) " تفسير ابن كثير 388/1 " .

(2) " المرجع السابق 261/2 " .

(3) " مسلم 1340/3 " .

(4) " الحاكم 171/1 "، " البيهقي 114/10 "، " من حديث ابن عباس، وبنحوه من حديث ابي هريرة، ورواه " المروزي في السنة/26 "، و" اللالكائي 228/1 " عن ابن عباس, ورواه الإمام مالك في " الموطا/899 " بلاغاً .

(5) " الترمذي 44/5 "، " ابو داود 200/4 "، " ابن ماجه 15/1: 16 "، " الدارمي 57/1 "، " ابن حبان 178/1: 180 "، " الحاكم 174/1: 177 "، وغيرهم .

القرآن، أي: ما تركنا شيئاً من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن: إما دلالة مبينة مشروحة، وإما مجملة يتلقى بيانها من الرسول عليه الصلاة والسلام أو من الإجماع أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب، قال الله تعالى: { ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء }، وقال: { وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم }، وقال: { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا }، فأجمل في هذه الآية، وآية النحل ما لم ينص عليه ممّا لم يذكره، فصدق خبر الله بأنه ما فرط في الكتاب من شيء إلا ذكره: إما تفصيلاً، وإما تأصيلاً، وقال: {اليوم أكملت لكم دينكم }](1) .

* وقال تعالى: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } [النحل:89] .

قال ابن كثير_ رحمه الله_: [قال ابن مسعود: قد بُيّن لنا في هذا القرآن كل علم، وكل شيء، وقال مجاهد: كل حلال، وكل حرام .

وقول ابن مسعود: أعم وأشمل، فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وكل حلال وحرام، وما الناس اليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم](2) .

وقال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [وقوله: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ}: في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين، وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبيين بألفاظ واضحة، ومعان جلية حتى إنه تعالى يثني فيه الأمور الكبار التي يحتاج القلب لمرورها عليه كل وقت، وإعادتها في كل ساعة، ويعيدها ويبديها بألفاظ مختلفة، وأدلة متنوعة: لتستقر في القلوب فتثمر من الخير والبر بحسب ثبوتها في القلب، وحتى إنه تعالى يجمع في اللفظ القليل الواضح: معاني كثيرة، يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس، واعتبر هذا بالآية التي بعد هذه الآية، وما فيها من أنواع الأوامر والنواهي التي لا تحصى .

فلمّا كان هذا القران تبياناً لكل شيء: صار حجة الله على العباد كلهم، فانقطعت به حجة الظالمين، وانتفع به المسلمون، فصار هدى لهم: يهتدون به إلى أمر دينهم ودنياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة، فالهدى: ما نالوا به من علم نافع، وعمل صالح، والرحمة: ما ترتب على ذلك من ثواب الدنيا والاخرة: كصلاح القلب وبره وطمأنينته، وتمام العقل الذي لا يتم إلا بتربيته على معانيه التي هي أجل المعاني وأعلاها، والأعمال الكريمة، والأخلاق الفاضلة، والرزق الواسع، والنصر على الأعداء بالقول والفعل، ونيل رضا الله تعالى وكرامته العظيمة التي لا يعلم ما فيها من النعيم المقيم إلا الرب الرحيم](3) .

* ومن حديث جابر بن عبد الله_ رضي الله عنه_ ان عمر بن الخطاب اتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب اصابه من بعض اهل الكتاب فقراه على النبي صلى الله عليه وسلم: فغضب، وقال: " امتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به

---

(1) "تفسير القرطبي6/420 " .

(2) "تفسير ابن كثير2/583 " .

(3) "تفسير السعدي/313: 314 " .

أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني "[1] .

* وعن أبي الدرداء_ رضي الله عنه_ قال: جاء عمر بجوامع من التوراة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، جوامع من التوراة أخذتها من أخ لي من بني زريق: فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال عبد الله بن زيد_ الذي أُرى الأذان_: أمسخ الله عقلك، ألا ترى الذي بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال عمر_ رضي الله عنه_: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبالقرآن إماماً: فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: " والذي نفس محمد بيده: لو كان موسى بين أظهركم ثم اتبعتموه وتركتموني: لضللتم ضلالاً بعيداً: أنتم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين "[2] .

والحديث ظاهر في وجوب الاكتفاء والاستغناء بما جاء به صلى الله عليه وسلم، وتحريم طلب الهدى والصلاح في غيره أياً كان هذا الغير .

وقد عقد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب_ رحمه الله_ باباً في كتابه "فضل الإسلام "، فقال:

[باب وجوب الاستغناء بمتابعته صلى الله عليه وسلم عن كل ما سواه، وقول الله تعالى: {ونزلنا عليك الكتب تبينا لكل شيء }] .

* وعن أبي الدرداء_ رضي الله عنه_، قال: " لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما في السماء طائر يطير بجناحيه إلا ذكرنا منه علماً "[3] .

* وعن أبي ذر_ رضي الله عنه_، قال: " تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكرنا منه علماً، قال: قال صلى الله عليه وسلم: ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بين لكم "[4] .

ورحم الله الإمام الشافعي حيث يقول: [فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبل الهدى فيها، قال الله عز وجل: { الر كتاب انزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد }، وقال تعالى: { ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى بشرى للمسلمين }، وقال تعالى: { وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون }][5] .

---

(1) " احمد3/338،387"، " ابن ابي شيبة 5/312 "، " الدارمي1/126" وابو يعلى والبزار وغيرهم وهو مروي عن عمر من طرق، وانظر " مجمع الزوائد1/173: 174، 182، 8/262 " .

(2) رواه الطبراني في الكبير وفيه ابو عامر القاسم بن محمد الاسدي ولم ار من ترجمه وبقية رجاله موثقون " مجمع الزوائد1/174 " .

(3) قال في" المجمع8/264": " رواه الطبراني ورجاله: رجال الصحيح " .

(4) " المعجم الكبير2/155",وانظر : " المجمع8/263: 264 " .

(5) " احكام القران للشافعي1/21 "، " الرسالة/20 " .

فأهل الطائفة المنصورة يوقنون بأنه (لا تقع واقعة إلى يوم القيامة إلا وفي الكتاب أو السنة بيانها: نصاً أو دلالة)[1] .

قال ابن القيم_ رحمه الله_: [وهذ الأصل من أهم الأصول وأنفعها، وهو مبني على حرف واحد، وهو عموم رسالته صلى الله عليه وسلم بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه العباد في معارفهم, وعلومهم, وأعمالهم، وأنه لم يُحوج أمته إلى أحدٍ بعده، وإنما حاجتهم إلى من يبلغهم عنه ما جاء به .

فلرسالته عمومان محفوظان لا يتطرق إليهما تخصيص: عموم بالنسبة إلى المرسَل إليهم، وعموم بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه من بُعث إليه في أصول الدين وفروعه، فرسالته: كافية, شافية, عامة، لا تُحْوِج إلى سواها.

ولا يتم الإيمان به إلا بإثبات عموم رسالته في هذا وهذا، فلا يخرج أحد من المكلفين عن رسالته، ولا يخرج نوع من أنواع الحق الذي تحتاج إليه الأمة في علومها وأعمالها عمّا جاء به.

وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر للأمة منه علماً، وعلّمهم كل شيء حتى آداب التخلي, وآداب الجماع والنوم, والقيام والقعود، والأكل والشرب، والركوب والنزول، والسفر والإقامة، والصَّمْت والكلام، والعزلة والخلطة، والغنى والفقر، والصحة والمرض، وجميع أحكام الحياة والموت، ووصف لهم العرش والكرسي، والملائكة والجن، والنار والجنة ويوم القيامة، وما فيه حتى كأنه رأي عين .

وعرّفهم معبودهم وإلههم أتم تعريف حتى كأنهم يرونه ويشاهدونه بأوصاف كماله ونعوت جلاله، وعَرّفهم الأنبياء وأممهم وما جرى لهم, وما جرى عليهم معهم حتى كأنهم كانوا بينهم .

وعرفهم من طرق الخير والشر: دقيقها وجليلها ما لم يعرفه نبي لأمته قبله، وعرفهم صلى الله عليه وسلم من أحوال الموت, وما يكون بعده في البرزخ, وما يحصل فيه من النعيم والعذاب للروح والبدن ما لم يُعَرّف به نبي غيره .

وكذلك عرّفهم صلى الله عليه وسلم من أدلة التوحيد والنبوة والمعاد والرد على جميع فرق أهل الكفر والضلال ما ليس لمن عرفه حاجة من بعده، اللهم إلا إلى مَنْ يبلغه إياه ويبينه ويوضح منه ما خفي عليه .

وكذلك عرفهم صلى الله عليه وسلم من مكايد الحروب ولقاء العدو وطرق النصر والظفر ما لو علموهُ وعَقلوه ورَعَوْه حق رعايته لم يقم لهم عدو أبداً .

وكذلك عرفهم صلى الله عليه وسلم من مكايد إبليس وطرقه التي يأتيهم منها, وما يتحرزون به من كيده ومكره, وما يدفعون به شره ما لا مزيد عليه .

وكذلك عرفهم صلى الله عليه وسلم من احوال نفوسهم واوصافها, ودسائسها, وكمائنها ما لا حاجة لهم معه إلى سواه .

وكذلك عرفهم صلى الله عليه وسلم من امور معايشهم ما لو علموه وعملوه, لاستقامت لهم دنياهم اعْظَمَ استقامة.

---

(1) "شرح مسلم للنووي91/11 " .

وبالجملة: فجاءهم بخير الدنيا والآخرة برُمَّته، ولم يحوجهم الله إلى أحد سواه، فكيف يظن أن شريعته الكاملة التي ما طرق العالم شريعة أكمل منها ناقصة تحتاج إلى: **سياسة خارجة عنها تكملها**، أو إلى قياس أو حقيقة أو معقول خارج عنها ؟! .

ومن ظن ذلك فهو كمن ظن أن بالناس حاجة إلى رسول آخر بعده، وسبب هذا كله خفاء ما جاء به على من ظن ذلك وقلة نصيبه من الفهم الذي وَفَّقَ الله له أصحاب نبيه الذين اكتفوا بما جاء به، واستغنوا به عمّا سواه، وفتحوا به القلوب والبلاد، وقالوا: هذا عهد نبينا إلينا وهو عهدنا إليكم، وقد كان عمر رضي الله عنه يمنع من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية أن يشتغل الناسُ به عن القرآن، فكيف لو رأى اشتغال الناس بآرائهم وزَبَد أفكارهم وزُبالة أذهانهم عن القرآن والحديث ؟!!! فالله المستعان .

وقد قال الله تعالى: { أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يُتْلَى عليهم، إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون}، وقال تعالى: { وأنزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين }، وقال تعالى: { يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم، وشفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين }][1] .

ـــــ ولذلك: كان شر الأمور: محدثاتها، وكان الإحداث في دين الله_ تقديماً بين يدي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم: بالآراء، والأهوآء، والبدع_ والهدى: نقيضين لا يجتمعان، ومن ثم: نهى الشارع عن الإحداث، وذمه وحذر منه غاية الذم والتحذير:

* قال تعالى: {وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه **ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** } .

فنهى تعالى عن اتباع السبل من الآراء والأهوآء، ونص تعالى على أن اتباع هذه السبل: بعدٌ عن الصراط المستقيم ومجانبة له:

قال القرطبي_ رحمه الله_: [وهذه السبل تعم: اليهودية, والنصرانية, والمجوسية, وسائر أهل الملل, وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع, وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام, هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد, قاله ابن عطية, قلت: وهو الصحيح][2] .

* وقد جاء عن مجاهد_ رحمه الله_ ان " السبل " التي نهى الله عنها هي: " البدع، والشبهات "[3] .

_ وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه السبل كلها من وحي الشياطين وزخارفهم إضلالاً للعبيد وفتنة لهم كما مر معنا من حديث ابن مسعود_ رضي الله عنه_ في قوله صلى الله عليه وسلم: " هذه سبل: على كل **سبيل منها شيطان يدعو إليه**, ثم قرا: { وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله } "[4] .

---

(1) " إعلام الموقعين4/375: 377 " .

(2) " تفسير القرطبي7/138 " .

(3) " الطبري8/88 "، " القرطبي7/138 " .

(4) سبق تخريجه .

فكل ما خالف الصراط المستقيم من الكتاب والسنة: هو من وحي الشياطين وزخارفهم وإن استحسنته العقول واستصوبته، وأنّى لوحي الشياطين وزخافهم أن تكون مصدراً لهدى أو سبيلاً لرشاد ! .

فتعين أن اتباع غير الكتاب والسنة من الآراء والأهواء: ضلال في الدنيا، وخسارة في الآخرة .

وقد أخرج ابن حبان_ رحمه الله_ حديث ابن مسعود السابق في صحيحه ثم ترجم له بقوله: " ذكر الإخبار عمّا يجب على المرء من لزوم سنته صلى الله عليه وسلم, وحفظه نفسه عن كل من يأباها من أهل البدع وإن حسنوا ذلك في عينه وزينوه " .

ثم ترجم له أخرى بقوله: "ذكر ما يجب على المرء من ترك تتبع السبل دون لزوم الطريق الذي هو الصراط المستقيم "(1) .

قال ابن جرير_ رحمه الله_ في قوله تعالى: {فتفرق بكم عن سبيله }:

[يقول: فيشتت بكم إن اتبعتم السبل المحدثة التي ليست لله بسبل, ولا طرق, ولا أديان اتباعكم { عن سبيله }, يعني عن طريقه ودينه الذي شرعه لكم وارتضاه](2).

* وقد روي عن ابن مسعود_ رضي الله عنه_، أنه سئل: ما الصراط المستقيم ؟ .

فقال: " تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه, وطرفه في الجنة, وعن يمينه: جواد, وعن يساره: جواد, وثم رجال يدعون من مر بهم, فمن أخذ في تلك الجواد: انتهت به إلى النار, ومن أخذ على الصراط: انتهى به إلى الجنة, ثم قرأ ابن مسعود: {وأن هذا صراطي مستقيماً } الآية "(3) .

ـ وقد قال تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله } .

* عن ابن عباس_ رضي الله عنهما_، قال: " نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه " .

* وعنه_ أيضاً_ قال: " لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة " .

* وعن مجاهد_ رحمه الله_، قال: " لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضيه الله على لسانه " .

* وعن الضحاك_ رحمه الله_، قال: " يعني بذلك في القتال, وكان من أمورهم لا يصلح أن يقضى إلا بأمره ما كان من شرائع دينهم " .

* وفي لفظ: " لا تقضوا امراً دون الله ورسوله من شرائع دينكم " .

* وقال ابن زيد_ رحمه الله_: " لا تقطعوا الامر دون الله ورسوله " .

* وعن سفيان_ رحمه الله_، قال: " لا تقضوا امراً دون رسول الله " .

---

(1) انظر: "صحيح ابن حبان180/1: 181 " .

(2) "تفسير الطبري88/8 " .

(3) "تفسير القرطبي138/7 " .

* وعنه_ أيضاً_: " لا تقدموا بين يدي الله ورسوله بقول ولا فعل "[1] .

والآيه تعم كل ما ذكره هؤلاء الأئمة_رضوان الله عليهم_، فالقول الجامع فيها: أن الله سبحانه وتعالى نهى عباده عن أن يقدموا شيئاً من آرائهم، وأهوائهم، وأفكارهم، وتصوراتهم، وسياساتهم، وأفعالهم، وغير ذلك من أمورهم على ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة .

قال ابن جرير_رحمه الله_: [يقول: لا تعجلوا بقضاء أمر في **حروبكم** أو دينكم قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله][2] .

وقال القرطبي_ رحمه الله_: [أي: لا تقدموا قولاً، ولا فعلاً بين يدي الله وقول رسوله وفعله فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر الدين والدنيا، ومن قدّم قوله أو فعله على الرسول صلى الله عليه وسلم: فقد قدّمه على الله تعالى لأن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما يأمر عن أمر الله عز وجل][3] .

ثم قال_رحمه الله_: [قوله تعالى: { لا تقدموا بين يدي الله ورسوله }: أصل في ترك التعرض لأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وإيجاب اتباعه، والاقتداء به][4].

وقال ابن القيم_ رحمه الله_: [أي: لا تقولوا حتى يقول، ولا تأمروا حتى يأمر، ولا تُفْتُوا حتى يفتي، ولا تقطعوا أمراً حتى يكون هو الذي يحكم فيه ويُمضيه .

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس_ رضي الله عنهما_: " لا تقولوا خِلافَ الكتاب والسنة، وروى العوفي عنه، قال: "نُهُوا أن يتكلموا بين يدي كلامه " .

والقول الجامع في معنى الآية: لا تعجلوا بقول، ولا فعل قبل أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يفعل][5] .

_ وبنحو الآية السابقة: قال تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض، أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون } [الحجرات: 2] .

قال ابن القيم_ رحمه الله_: [فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سبباً لحبوط أعمالهم؛ فكيف تقديم ارائهم، وعقولهم، وأذواقهم، **وسياساتهم**، ومعارفهم على ما جاء به، ورفعها عليه ؟!، أليس هذا اولى ان يكون مُحبْطاً لاعمالهم ؟!!!][6] .

---

(1) انظر هذه الاثار: "تفسير الطبري116/2: 117 "، "القرطبي301/1"، "ابن كثير206/4 " .

(2) "تفسير الطبري116/2 " .

(3) "تفسير القرطبي300/1 " .

(4) " المرجع السابق302/1 " .

(5) " إعلام الموقعين51/1 " .

(6) " إعلام الموقعين51/1 " .

* وقال تعالى_ أيضا_: { إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه } [النور_ 62] .

قال ابن القيم_ رحمه الله_: [فإذا جعل من لوازم الإيمان أنهم لا يذهبون مذهباً إذا كانوا معه إلا باستئذانه: فأولى أن يكون من لوازمه أن لا يذهبوا إلى قول, ولا مذهب علمي إلا بعد استئذانه، وإذنُه يُعرف بدلالة ما جاء به على أنه أذِنَ فيه](1).

ـــــ وقد أنذر صلى الله عليه وسلم أمته من الإحداث في دين الله، وحذرها من مغبة ذلك، وكان هذا دأبه صلوات ربي وسلامه عليه كلما وعظ وذكّر:

* قال جابر_ رضي الله عنه_ "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب: احمرت عيناه, وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم, ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين_ ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى_, ويقول: أما بعد، فإن خير الحديث: كتاب الله, وخير الهدي: هدي محمد, وشر الأمور: محدثاتها, وكل بدعة ضلالة "(2) .

* ومن حديث ابن مسعود_ رضي الله عنه_، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ' إنما هما اثنتان: الكلام والهدي؛ فأحسن الكلام: كلام الله, وأحسن الهدي: هدي محمد, ألا وإياكم ومحدثات الأمور: فإن شرّ الأمور: محدثاتها, وكل محدثة: بدعة, وكل بدعة: ضلالة "(3) .

* وفي حديث العرباض بن سارية_ رضي الله_، قال صلى الله عليه وسلم: " فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً: فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي: عضوا عليها بالنواجذ, **وإياكم ومحدثات الأمور, فإن** كل **بدعة**: ضلالة "(4) .

قال ابن رجب_ رحمه الله_: [قوله: " إياكم ومحدثات الأمور, فإن كل بدعة ضلالة ": تحذيرٌ للأمة من اتباع الأمور المحدثة المبتدعة, وأكّد ذلك بقوله: " كل بدعة: ضلالة "، والمراد بالبدعة: ما أحدث ممّا لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه: فليس ببدعة شرعاً وإن كان بدعة لغة ...

قوله: " كل بدعة ضلالة ": من جوامع الكلم, لا يخرج عنه شئ, وهو اصل عظيم من اصول الدين، وهو شبيه بقوله صلى الله عليه وسلم: " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ": فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له اصل من الدين يرجع إليه: فهو ضلالة والدين برئ منه, **وسواء** في **ذلك** مسائل **الاعتقادات أو الاعمال أو الاقوال الظاهرة والباطنة**](5) .

---

(1) " إعلام الموقعين51/1 " .

(2) "مسلم592/2 "، " ابن حبان186/1 "، " ابو يعلى85/4 ", وغيرهم .

(3) " ابن ماجه18/1 "، " اللالكائي77/1 "، " السنة لابن ابي عاصم16/1 "، والبيهقي في "الشعب201/4 "، وغيرهم .

(4) " ابن ماجه16/1 "، " احمد126/4 "، " المستدرك175/1 "، " الكبير247،257/18 "، "اللالكائي22،74/1 "، " السنة لابن ابي عاصم19/1: 20، 27 " .

(5) "جامع العلوم والحكم/266 " .

* وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناسٌ جهال يُستفتون، فيفتون **برأيهم**: فيَضلون ويُضلون "(1) .

وقد ترجم الإمام البخاري لهذا الحديث بقوله: " باب ما يُذكر من ذم الرأي، وتكلف القياس، {ولا تقف ما ليس لك به علم} "(2) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: [قوله: "باب ما يذكر من ذم الرأي"، أي: الفتوى بما يؤدي إليه النظر، وهو يصدق على ما يوافق النص، وعلى ما يخالفه، والمذموم منه ما يوجد النص بخلافه، وأشار بقوله: "من" إلى أن بعض الفتوى بالرأي لا تذم وهو إذا لم يوجد النص من كتاب أو سنة أو إجماع ...

قال ابن بطال: التوفيق بين الآية والحديث في ذم العمل بالرأي، وبين ما فعله السلف من استنباط الأحكام: أن نص الآية ذم القول بغير علم: فخص به من تكلم برأي مجرد عن استناد إلى أصل، ومعنى الحديث: ذمّ من أفتى مع الجهل ولذلك وصفهم بالضلال والإضلال وإلا فقد مدح من استنبط من الأصل لقوله تعالى: { لعلمه الذين يستنبطونه منهم }، فالرأي إذا كان مستنداً إلى أصل من الكتاب والسنة أو الإجماع: فهو المحمود، وإذا كان لا يستند إلى شئ منها: فهو المذموم](3) .

ـ وقد كثر كلامُ السلف رضوان الله عليهم في ذم الإحداث في الدين، والتقديم بين يدي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والقول بالرأي المخالف للكتاب والسنة:

* عن سهل بن حنيف رضي الله عنه، قال: " يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لرددته ... "(4) .

* وعن عمر رضي الله عنه نحو قول سهل، ولفظه: " اتقوا الرأي في دينكم "(5) .

* وفي لفظ: " اتهموا الرأي على الدين، فلقد رأيتني أردّ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برأي اجتهاداً فوالله ما الوا عن الحق، وذلك يوم أبى جندل حتى قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: تراني ارضى وتأبى "(6) .

* وعنه أيضاً، قال: " إياكم وأصحاب الرأي: فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا

---

(1) " البخاري6/2665 " .

(2) "صحيح البخاري6/2665 " .

(3) "فتح الباري13/282: 288 "

(4) "صحيح البخاري6/2665 " .

(5) " المدخل للبيهقي/190 " .

(6) " الطبراني في الكبير1/72"، "والضياء في المختارة1/325 "، وغيرهما، وانظر "المجمع1/179، 6/145 " .

بالرأي: فضلوا وأضلوا "[1] .

* وكان عمر_ رضي الله عنه_ يقول: " إن أصدق القيل: قيلُ الله، وإن أحسن الهدي: هدي محمد، وشر الأمور: محدثاتها "[2] .

* وعن ابن مسعود_ رضي الله عنه_، قال: " ليس عام إلا الذي بعده شر منه، لا أقول عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير، ولكن ذهاب العلماء ثم يحدث قوم يقيسون الأمور بآرائهم: فيهدم الإسلام "[3] .

* وكان عبد الله بن مسعود_ رضي الله عنه_ إذا خطب، قال: " إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي: هدي محمد، وشر الأمور: محدثاتها "[4] .

* وفي لفظ عنه، قال: " إن أحسن الهدى: هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وإن أحسن الكلام: كلام الله، وإنكم ستحدثون ويحدث لكم، فكل محدث: ضلالة، وكل ضلالة في النار "[5] .

* وعن علي_ رضي الله عنه_، قال: " لو كان الدين بالرأي لكان مسح أسفل الخف أولى من أعلاه "[6] .

* وعن أبي مسعود_ رضي الله عنه_، قال: " أيها الناس اتهموا الرأي، فقد رأيتني أهم أن أضرب بسيفي في معصية الله، ومعصية رسوله ... "[7] .

* وقال أبو الزناد_ رحمه الله_: " إن السنن ووجوه الحق لتأتي كثيراً على خلاف الرأي، فما يجد المسلمون بداً من اتباعها، من ذلك أن الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة "[8] .

* وعن الحسن_ رحمه الله_، أنه قال: " إنما هلك من كان قبلكم حين تشعبت بهم السبل وحادوا عن الطريق: فتركوا الآثار، وقالوا في الدين برأيهم: فضلوا وأضلوا "[9] .

* وقال مسروق_ رحمه الله_: " من يرغب برأيه عن أمر الله: يضل "[10] .

---

(1) " الدارقطني146/4 "، " اللالكائي123/1 " .

(2) " اللالكائي84/1 "، " السنة للمروزي/28 " .

(3) " الدارمي76/1"، " الكبير105/9 "، وانظر: " المجمع180/1 " .

(4) " السنة للمروزي/28 "، " الشعب200/4 "، " المعجم الكبير96/9 " .

(5) " اللالكائي77/1 " .

(6) " ابو داود42/1 "، " البيهقي292/1 "، " الدارقطني204/1 " .

(7) " ابن ابي شيبة508/7 " .

(8) " صحيح البخاري689/2 " .

(9) " جامع بيان العلم137/2 " .

(10) " جامع بيان العلم137/2 " .

* وقال الشعبي لمالك بن مغول_ رحمهما الله_: " ما حدثوك هؤلاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: فخذ به، وما قالوه برأيهم: فألقه في الحش "(1) .

* وقال الإمام الأوزاعي_ رحمه الله_: " عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوها لك بالقول "(2) .

ـ والآثار عن السلف في ذم الرأي: كثيرة جداً, وقد عقد ابن عبد البر_ رحمه الله_ باباً حافلاً في كتابه الفرد: " جامع بيان العلم وفضله "، عَنْونَ له بقوله: "باب: ما جاء في ذم القول في الدين بالرأي، والظن، والقياس على غير أصل، وعيب الإكثار من المسائل دون اعتبار "(3) .

وقد ساق_ رحمه الله_ في هذا الباب جملة وفيرة من آثار السلف في النهي عن القول في الدين بالرأي المجرد، وذم ذلك وعيبه غاية الذم, والعيب .

ـــ وكذلك فعل الإمام ابن القيم_ رحمه الله_ في " إعلامه " حيث عقد باباً كبيراً عظيماً في النهي عن القول في الدين بالرأي المجرد بدأه بما ورد عن الصحابة ثم التابعين ثم من بعدهم من أئمة المسلمين(4) إلى أن قال: [والمقصود أن السلف جميعهم على ذم الرأي, والقياس المخالف للكتاب والسنة وأنه لا يحل العمل به: لا فتيا, ولا قضاءً](5) .

قال ابن أبي داود_ رحمه الله_:

تمسّك بحبل الله واتبع الهدى ولا تك بـــدعياً لعلك تـــفلح

ودن بكتاب الله والسنن التي أتت عن رسول الله تنجو وتربح

ودع عنك آراء الرجال وقولهم فقول رسول الله أزكى وأشرح(6)

ـــ وإنما عظم النهي عن الإحداث في دين الله بالتقديم بين يدي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لكون ذلك:

* مضاداً لحقيقة العبودية مع كونه محاداة للإلوهية، ولذا قال تعالى: { فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم } .

قال الإمام احمد_ رحمه الله_: " وما الفتنة ؟, الشرك، لعله إذا رد بعض قوله: ان يقع في قلبه شيء من

---

(1) " الدارمي78/1 "، " السير319/4، 176/7"، وانظر: " الحلية319/4 " .

(2) " ذم التاويل/34 " .

(3) " جامع بيان العلم133/2: 150 "، وانظر: " فتح الباري289/13: 290 " .

(4) انظر: " إعلام الموقعين53/1: 79 " .

(5) " إعلام الموقعين79/1 " .

(6) " سير اعلام النبلاء233/13: 234 " .

الزيغ: فيزيغ قلبه: فيهلكه "[1] .

وهذه المحاداة: ظاهرة من وجهين:

ـ الوجه الأول:

(أن المبتدع: معاند للشرع, ومشاق له لأن الشارع قد عين لمطالب العبد طرقاً خاصة على وجوه خاصة، وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي, والوعد والوعيد, وأخبر أن الخير فيها، وأن الشر في تعديها ... إلى غير ذلك لأن الله يعلم, ونحن لا نعلم، وأنه إنما أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين .

فالمبتدع: رادّ لهذا كله، فإنه يزعم أن ثم طرقاً أخر ليس ما حصره الشارع بمحصور، ولا ما عينه بمتعين كأن الشارع يعلم، ونحن أيضاً نعلم بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع: أنه علم ما لم يعلمه الشارع .

وهذا إن كان مقصوداً للمبتدع: فهو كفر بالشريعة والشارع، وإن كان غير مقصود: فهو ضلال مبين .

وإلى هذا المعنى أشار عمر بن عبد العزيز_ رضي الله عنه_ إذ كتب له عدي بن أرطأة يستشيره في بعض القدرية، فكتب إليه: " أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله, والاقتصاد في أمره, واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وترك ما أحدث المحدثون فيما قد جرت سنته, وكفوا مؤنته: فعليك بلزوم السنة, فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ, والزلل, والحمق, والتعمق، فارض لنفسك بما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم: وقفوا، وببصر نافذ: قد كفوا, وهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وبفضل كانوا فيه أحرى .

فلئن قلتم: أمر حدث بعدهم: ما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سننهم، ورغب بنفسه عنهم، إنهم لهم السابقون، فقد تكلموا منه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم: مقصراً، وما فوقهم: محسر، لقد قصر عنهم اخرون: فغلوا, وأنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم " ...

فقوله: " فإن السنة: إنما سنها من قد عرف ما في خلافها ": فهو مقصود الاستشهاد)[2] .

ـ الوجه الثاني:

(أن المبتدع قد نزل نفسه منزلة المضاهي للشارع لأن الشارع وضع الشرائع, وألزم الخلق الجري على سننها، وصار هو المنفرد بذلك لأنه **حكم بين الخلق** فيما **كانوا** فيه **يختلفون وإلا فلو كان التشريع من مدركات الخلق: لم تنزل الشرائع، ولم يبق الخلاف بين الناس, ولا احتيج إلى بعث الرسل عليهم السلام** .

هذا الذي ابتدع في دين الله: قد صيّر نفسه نظيراً, ومضاهياً حيث شرع مع الشارع، وفتح للاختلاف: باباً، وردّ قصد الشارع في الانفراد بالتشريع, وكفى بذلك)[3] .

ـ كما ان الإحداث في دين الله بالتقديم بين يدي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم: زعمٌ صريح بأن الدين:

---

(1) " الصارم المسلول لابن تيمية/56 " .

(2) " الاعتصام1/37: 38 " .

(3) " الاعتصام1/38 " .

ناقص, لم يكمل بعد, وهو مروق من حكم الشرع, وخلع لربقة الإسلام:

قال أبو طالب_ رحمه الله_: " أخبروني عن الكرابيسي أنه ذكر قول الله: { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً }: قال: لو أكمل لنا ديننا: ما كان هذا الاختلاف ! .

فقال_ يعني: أحمد بن حنبل_: هذا الكفر صراحاً "[1] .

إذ من قطعيات أهل الإسلام: أن (الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة, ولا النقصان لأن الله تعالى قال فيها: { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا } .

وفي حديث العرباض بن سارية : " وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها الأعين, ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، إن هذه موعظة مودع, فما تعهد إلينا ؟ .

قال: تركتكم على البيضاء, ليلها: كنهارها, ولا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً, فعليكم بما عرفتم من سنتي, وسنة الراشدين من بعدي " الحديث .

وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى أتى ببيان جميع ما يحتاج إليه في أمر الدين والدنيا, وهذا لا مخالف عليه من أهل السنة .

فإذا كان كذلك، فالمبتدع: إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقالة: إن الشريعة لم تتم، وأنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها، لأنه لو كان معتقداً لكمالها وتمامها من كل وجه: لم يبتدع ولا استدرك عليها وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم .

قال ابن الماجشون: سمعت مالكاً يقول: " من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة: زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم: خان الرسالة لأن الله يقول: { اليوم أكملت لكم دينكم }, فما لم يكن يومئذ ديناً: فلا يكون اليوم ديناً)[2] .

ـــ فما دخل الفساد على العباد في دينهم ودنياهم، واضطربت أحوالهم، وساء نظامهم، وتناوشتهم شياطين الإنس والجن إلا من جراء الإحداث في دين الله بالتقديم بين يدي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهم في ذلك يظنون انهم يحسنون صنعاً، ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية واعلى مناره حيث يقول:

[الشرائع: اغذية القلوب، فمتى اغتذت القلوب بالبدع: لم يبق فيها فضل للسنن، فتكون بمنزلة من اغتذى بالطعام الخبيث][3] .

فكما هو تاثير الطعام الخبيث في البدن: كذلك هو_ بل واشد_ تاثير التقديم بين يدي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في القلوب, والعقول حتى انها تعمى عن رؤية الحق وهو اوضح من الشمس في رابعة النهار بما ران عليها من الاهواء والاراء .

---

(1) "طبقات الحنابلة40/1 " .

(2) " الاعتصام37/1 " .

(3) " اقتضاء الصراط المستقيم/281 " .

وقد بين شيخ الإسلام_ رحمه الله_ أن ما يقع فيه العباد من الاعتقادات الباطلة، والأعمال الفاسدة التي تضطرب معها أحوال العباد في دينهم ودنياهم: إنما هو بسبب ترك ما جاء به صلى الله عليه وسلم، فقال:

[أسباب هذه الاعتقادات والأحوال الفاسدة: الخروج عن الشِّرعة والمنهاج الذي بُعث به الرسول صلى الله عليه وسلم إلينا، فإن البدع: هي مبادئ الكفر ومظان الكفر كما أن السنن المشروعة: هي مظاهر الإيمان، ومقويّة للإيمان، فإنه يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية][1] .

(فالهرب الهرب، والنجاة النجاة، والتمسك بالطريق المستقيم، والسنن القويم الذي سلكه السلف الصالح، وفيه المتجر الرابح)[2] .

---

(1) " الفتاوى 565/10 " .

(2) " تفسير القرطبي 138/7 "

المطلب الثالث

اتباع الحق والدوران معه حيث دار

وهذا: هو الضابط الثالث من ضوابط العمل الجماعي عند أهل الطائفة المنصورة, وهو: فرعٌ عمّا قبله إذ من اعتصم بالكتاب والسنة حقاً: كان رائده الحق حيث كان؛ مع القريب أم البعيد، مع الموافق أم المخالف، وافقه الرجالُ أم خالفوه، فأهل الطائفة المنصورة: ولاؤهم للحق لا غير؛ و(المؤمن لدى الحق: أسير)[1] .

* قال تعالى: { اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ } [الأعراف: 3] .

فأمر تعالى أمراً مطلقاً باتباع ما أنزل إلينا من عنده سبحانه_ وهو الحق_، ونهى عن اتباع ما دون ذلك من الأولياء أيّاً كانوا، فعُلم أن الولاء للحق فقط .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ }, أي: تتولونهم, وتتبعون أهواءهم, وتتركون لأجلها الحق][2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: [وليس لأحد أن يدعو إلى مقالة أو يعتقدها لكونها قول أصحابه، ولا يناجز عليها بل لأجل أنها ممّا أمر الله به ورسوله أو أخبر الله به ورسوله لكون ذلك طاعة لله ورسوله][3] .

فالاتباع_ دعوةً أو عملاً_: إنما هو للحق في ذاته، وما الرجال إلا وسيلة للدلالة على الحق وتوصيله، ومتى خالفت الوسيلة الغاية منها ولم تحققها: طُرحت وأعرض عنها تمسكاً بالغاية التي هي المقصود الأصل والأساس .

* عن أنس_ رضي الله عنه_ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً " .

فقال رجل : يارسول الله أنصره إذا كان مظلوماً؛ أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره ؟ .

فقال صلى الله عليه وسلم: " تحجزه_ أو تمنعه_ من الظلم, فإن ذلك نصره "(4) .

* وفي لفظٍ: " تأخذ فوق يديه "(5) .

والمراد: ظاهر، وهو: أن تأخذ منه ولا تنصره على الباطل, ولا تواليه ولاءً مطلقاً في الحق والباطل, وإنما تكون معه عند الحق، وتكون ضده عند الباطل؛ فلا عصبية لمتبوع, ولا لجماعة, ولا لمذهب .

فالحديث نص في كون الولاء المطلق: للحق, وللحق وحده؛ وإنما يُوالى الاخرون_ وإن كانوا أقرب قريب_ بقدر قربهم او بعدهم من الحق لا لذواتهم، فلا يُوالى لذاته إلا الحق .

---

(1) "حلية الاولياء 31/10 " .

(2) "تفسير السعدي/184 " .

(3) "مجموع الفتاوى 9/20 " .

(4) " البخاري 2550/6 " .

(5) " البخاري 863/2 " .

* وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم قوله: " مُر بالمعروف، وانه عن المنكر، وزل مع الحق حيث زال "(1).

* وعن أبي بكر_ رضي الله عنه_، قال: " إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة: باتباعهم الحق في الدنيا، **وثقله عليهم**، وحق لميزان يوضع فيه الحق غداً: أن يكون ثقيلاً .

وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة: باتباعهم الباطل في الدنيا، **وخفته عليهم**، وحق لميزان يوضع فيه الباطل غداً: أن يكون خفيفاً "(2) .

قال الإمام الشافعي_ رحمه الله_: " أجمع الناس على أن من استبانت له سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس "(3) .

_ _ واتباع الغير_ فرداً كان أم طائفة_ مطلقاً_ أي في الحق والباطل_: هو من التفرق المذموم الذي نهانا الله تعالى عنه، وتوعد أهله وأصحابَه .

* قال تعالى: { ولا تكونوا من المشركين، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، كل حزب بما لديهم فرحون }.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله وطيب ثراه_ : [وأما رأس الحزب: فإنه رأس الطائفة التي تتحزب، أي: تصير حزباً، فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان: فهم مؤمنون: لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم.

وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل، والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق أو الباطل: فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله، فإن الله ورسوله أمر بالجماعة والإئتلاف، ونهيا عن التفرقة والاختلاف، وأمرا بالتعاون على البر والتقوى، ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان](4) .

_ وقد أخبرنا تعالى أن اتباع الغير في الباطل_ موالاة له وموافقة_: من دين المشركين الذين نُهينا عن مشابهتهم فيه أشدّ نهي وأصرحه .

* قال تعالى: { اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عمّا يُشركون } .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: [مَنْ علم أن هذا خطأ فيما جاء به الرسول ثم اتبعه على خطئه، وعدل عن قول الرسول: فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله، لا سيما إن اتبع في ذلك هواه، ونصره باللسان واليد مع علمه انه مخالف للرسول؛ فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه، ولهذا اتفق العلماء على

---

(1) " المستدرك176/4 "، " صحيح ابن حبان197/13 " .

(2) " حلية الاولياء36/1 "، " الثقات193/2 " .

(3) " إعلام الموقعين263/2 " .

(4) " الفتاوى92/11 " .

أنه إذا عرف الحق: لا يجوز له تقليد أحد في خلافه][1] .

ـ ـ وقد بيّن الله تعالى أن عاقبة هذا المسلك من رد الحق وقبول الباطل موافقةً للغير وموالاةً له: أسوأ عاقبة وأخسرها، مع كون الجزاء فيها من جنس العمل، وما ربك بظلم للعبيد .

* قال تعالى: { إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ الله أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ }

[البقرة: 167] .

فكلّ من رد الحق واتبع غيره_ فرداً كان أم طائفة_ ووالاه في الباطل مع علمه بباطله: فله نصيب من هذه الآية: قلّ هذا النصيب أو كثر(2) .

ـ كما أن اتباع الغير مطلقاً: من العصبية التي نُهينا عنها، وقد رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من دعا إلى عصبية "[3] .

وهو_ كذلك_ من ابتغاء سنن الجاهلية في الإسلام، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمه"[4] .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب_ رحمه الله_: [ويندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة، أي: في شخص دون شخص: كتابية أو وثنية أو غيرهما من كل مخالف لما جاء به المرسلون] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: [مَنْ مالَ مع صاحبه سواء كان الحق له أو عليه: فقد حكم بحكم الجاهلية، وخرج من حكم الله ورسوله][5] .

ـ فالمسلم مطالب باتباع الحق دائماً وأبداً؛ كان الحق مع القريب أم البعيد، مع الموافق أم المخالف، مع طائفته أم غيرها، فدورانه إنما هو مع الحق ذاته بغير عَرَضٍ آخر .

ومن الكلام القيم هنا: قول الإمام ابن القيم_ رحمه الله_: [عادتنا في مسائل الدين كلها: دقها، وجلها: أن نقول بموجبها، ولا نضرب بعضها ببعض، ولا نتعصب طائفة على طائفة بل نوافق كل طائفة على ما معها من الحق،

---

(1) " الفتاوى 71/7 " .

(2) ردّ الحق متابعة للغير في الباطل ليس درجة واحدة، وإنما هو: درجات، فمنه ما هو: كفر، ومنه ما هو بدعة، ومنه ما هو معصية، ومنه ما هو خطأ، وكلٌ بقدره .

(3) " ابو داود 332/4 " .

(4) " البخاري 2523/6 " عن ابن عباس_ رضي الله عنهما_ .

(5) " الفتاوى 17/28 " .

ونخالفها فيما معها من خلاف الحق، لا نستثني من ذلك طائفة, ولا مقالة][1] .

وقال ابن القيم_رحمه الله_ أيضا_: [فإن كل طائفة معها حقٌ وباطل وتتفاوت في ذلك، فالواجب موافقتهم فيما قالوه من الحق ورد ما قالوه من الباطل، ومن فتح الله له بهذا الطريق: قد فتح له من العلم والدين كل باب، ويسّر عليه بهم الأسباب][2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن تكلم عن الولاء الباطل بين التلميذ ومعلمه:

[ولكن يحسن أن يقول لتلميذه: عليك عهد الله وميثاقه أن توالي من والى الله ورسوله، وتعادي من عادى الله ورسوله، وتعاون على البر والتقوى, ولا تعاون على الإثم والعدوان، وإذا كان الحق معي: نصرت الحق، وإن كنت على الباطل: لم تنصر الباطل, فمن التزم هذا: كان من المجاهدين في سبيل الله تعالى، الذين يريدون أن يكون الدين كله لله, وتكون كلمة الله هي العليا][3] .

وقال_رحمه الله_: [وليس للمعلمين أن يُحزّبوا الناس، ويفعلوا ما يلقى بينهم العداوة والبغضاء بل يكونون مثل الأخوة المتعاونين على البر والتقوى كما قال تعالى: {وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان } .

وليس لأحدٍ منهم أن يأخذ على أحد عهداً بموافقته على كل ما يريد، وموالاة من يواليه، ومعاداة من يُعاديه بل من فعل هذا كان من جنس جنكيز خان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم: صديقاً ولياً، ومن خالفهم: عدواً باغياً ...

بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله ورسوله بأن يُطيعوا الله ورسوله، ويفعلوا ما أمر الله به ورسوله .

وإذا وقع بين معلم ومعلم أو تلميذ وتلميذ أو معلم وتلميذ خصومة ومشاجرة: لم يجز لأحد أن يُعين أحدهما حتى يعلم الحق، فلا يُعاونه بجهل ولا بهوى بل ينظر في الأمر فإذا تبين له الحق: أعان المحق منهما على المبطل سواء كان المحق من أصحابه أو أصحاب غيره وسواء كان المبطل من أصحابه أو أصحاب غيره، فيكون المقصود: عبادة الله وحده، وطاعة رسوله، واتباع الحق، والقيام بالقسط .

قال الله تعالى: { يا أيها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً } .

ومن مال مع صاحبه_سواء كان الحق له او عليه_: فقد حكم بحكم الجاهلية وخرج عن حكم الله ورسوله .

والواجب على جميعهم ان يكونوا يداً واحدة مع الحق على المبطل، فيكون المعظم عندهم من عظمه الله ورسوله، والمقدّم عندهم من قدّمه الله ورسوله، والمهان عندهم من اهانه الله ورسوله بحسب ما يُرضي الله

---

(1) "طريق الهجرتين/582 " .

(2) "طريق الهجرتين/570 " .

(3) " الفتاوى19/28: 21 " .

ورسوله لا بحسب الأهوآء](1) .

ــ وقد مرّ معنا: أن (المؤمن: لدى الحق: أسير)(2):

فيدور مـــع قول الرسول وفعله نفيـــاً وإثباتـــاً بـــلا روغان

ويحكم الوحي المبين على الذي قال الشيـــوخ فعنده حكمـــان

لا يحكمان ببـــاطل أبداً وكل العدل قد جاءت به الحكمان

وهما كـــتاب الله أعـــدل حاكم فـــيه الشـــفا وهداية الحيران

والحـــاكم الثاني كـــلام رسوله مـــا ثـــم غيرهما لذي إيمـــان

فإذا دعـــوك لغير حكمهما فلا سمعاً لداعـــي الكفر والعصيان

قل لا كرامة لا ولا نعمـــا ولا طـــوعاً لمن يدعو إلى طغيان

وإذا دعيت إلى الرسول فقل لهم سمعاً وطوعاً لست ذا عصيان(3)

---

(1) " الفتاوى 15/28: 17 " .

(2) "حلية الاولياء 31/10 " .

(3) "شرح النونية 128/1 " .

المطلب الرابع

كون الولاء لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولدينه

وهذا الضابط: من أخطر ضوابط العمل الجماعي عند أهل الطائفة المنصورة إذ أمر الولاء: أمرٌ عقدي، وهو لحمة الإسلام وسداه، وأساس الإيمان ومنتهاه، وحقيقة الإخلاص وغايته، ودليل الاتباع الصادق، والمحك الذي تتميز به الحقائق من الدعاوى .

ومعقد الولاء عند أهل الطائفة المنصورة: هو " الدين " وفقط ليس لهم من نسبة أخرى يعقدون عليها ألوية الولاء والبراء، فولاؤهم للدين، وبراؤهم للدين، وحبهم للدين، وبغضهم للدين .

* عن أنس رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ' ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه ممّا سواهما وأن يحب المرء **لا يحبه إلا لله**, وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار "(1) .

* وعن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من أعطى لله, ومنع لله, وأحب لله وأبغض لله, وأنكح لله' فقد استكمل الإيمان "(2) .

* وقال صلى الله عليه وسلم: " أوثق عرى الإيمان: الموالاة **في الله**، والمعاداة في **الله**، والحب **في الله**, والبغض **في الله عز وجل** "(3) .

فأساس الولاء, ومعقده عند أهل الطائفة المنصورة: هو الله دينه وشرعه: إيماناً به، وتحقيقاً لتوحيده، ومتابعة لنبيه صلى الله عليه وسلم، وكلّ ما دون ذلك من؛ قوم أو حزب أو طائفة أو زعيم أو مطاع أو رأي محدث: فهي عند أهل الطائفة المنصورة من الجاهلية، وحاشا أن تكون الجاهلية عند أهل الطائفة المنصورة معقداً لولاء أو براء .

* عن جابر رضي الله عنه قال: ' غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم, وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا, وكان من المهاجرين رجل لعاب, فكسع انصارياً فغضب الانصاري غضباً شديداً

---

(1) " البخاري14/1, 16 ", ' مسلم66/1 " .

(2) " المستدرك178/2 ", ' الترمذي670/4 ", " احمد438/3, 440 ", " ابو يعلى60/3, 68 ", " المعجم الكبير188/20 ' والحديث حسنه الترمذي، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وللحديث طريق اخرى عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه بدون قوله: ' انكح لله ' عند " ابي داوود220/4 ", ' المعجم الكبير134/8, 177 ", " المعجم الاوسط41/9 " .

(3) حديث صحيح له طرق, والفاظ متقاربة عن ابي ذر, والبراء بن عازب, وابن مسعود رضي الله عنهم, انظر: " المعجم الكبير215/11 ", " شعب الإيمان70/7 ", " ابو داود198/4 ", " البزار461/9 ", " احمد146/5 ", " مصنف ابن ابي شيبة170/6, 80/7", " الطيالسي/101 ", " تعظيم قدر الصلاة404/1 ", " البيان والتعريف304/1 ", " احمد286/4 ", " مصنف ابن ابي شيبة172/6", " المعجم الصغير373/1", " المعجم الكبير171/10 ", " الطيالسي/50 ", " الفردوس415/5 ", " المجمع89/1: 90, 162", ' الترغيب والترهيب14/4 " .

حتى تداعوا, وقال الأنصاري: يا للأنصار, وقال المهاجري: يا للمهاجرين .

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: **ما بال دعوى أهل الجاهلية**, ثم قال: ما شأنهم: فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **دعوها فإنها خبيثة** ... "[1] .

فتأمّل قوله صلى الله عليه وسلم: " ما بال دعوى الجاهلية '، وقوله: " دعوها فإنها خبيثة "_ وفي رواية: 'دعوها فإنها منتنة "[2]_ تعقيباً على تنادي الرجلين بهذين الإسمين: " المهاجرين '، و" الأنصار " مع أن هذين الإسمين من الأسماء المشروعة، الممدوحة، المحبوبة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم بل هما من الأسماء التي جاء القرآن بتزكية وتعديل أصحابها إلا أنهما لما كانا هنا شعاراً لولاء يحمل نوعاً من العصبية: صار ذلك من فعل الجاهلية، وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذه الدعوى منتنة كونها متضمنة لاستبدال أساس الولاء والبراء عند المسلمين ومعقده بنسبة أخرى ولو كانت شرعية ولاسم شريف، وفئةٍ كريمة، فكيف بما دون ذلك من النسب المحدثة الباطلة ؟! .

وقد ترجم الإمام البخاري_ رحمه الله_ لهذا الحديث بقوله: "باب: ما ينهى من دعوى الجاهلية "[3] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: [فهذان الاسمان: " المهاجرون "، و" الأنصار ": اسمان شرعيان جاء بهما الكتاب والسنة، وسماهما الله بهما كما سمانا المسلمين من قبل ...

وانتساب الرجل إلى المهاجرين والأنصار: انتساب حسن محمود عند الله وعند رسوله، ليس من المباح الذي يقصد به التعريف فقط كالانتساب إلى القبيلة أو الأمصار ...

ثم مع هذا لما دعى كل منهما طائفته منتصراً بها: أنكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك, وسماه: دعوى الجاهلية][4] .

* وقد قال صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من ضرب الخدود أو شق الجيوب أو **دعا بدعوى الجاهلية** "[5].

* وقال صلى الله عليه وسلم: "من دعا بدعوى الجاهلية: فهو من جثا جهنم .

قال رجل: وإن صام, وصلى ؟!!! .

قال صلى الله عليه وسلم: وإن صام وصلى فادعوا بدعوى الله الذي سماكم: المسلمين المؤمنين, عباد الله"[6] .

---

(1) " البخاري1296/3، 1861/4، 1863 "،" مسلم1998/4 " .

(2) ' البخاري1861/4, 1863 "، " مسلم1998/4, 1999 " .

(3) " البخاري1296/3 " .

(4) " اقتضاء الصراط المستقيم/71 " .

(5) " مسلم99/1 " .

(6) " صحيح ابن حبان '، " النسائي الكبرى272/5, 412/6 "، " احمد130/4, 202 "، 'الطيالسي/159"، " ابو يعلى142/3 "، " المعجم

ـ ـ وعليه: فالولاء الحزبي والذي يُعقد فيه الولاء والبراء على أساس الانتماء للحزب: فيُوالى من انتمى للحزب ووالاه وإن كان في دينه دخل ودخن، وبدع ومحدثات, ويُعادى من نأى عنه وجفاه وإن كان من أتقى أهل الأرض توحيداً واتباعاً، هذا الولاء: هو من دين الجاهلية وشرعتها، وليس من هدي الطائفة المنصورة ودينها، وهيهات .

قال شيخ الإسلام_ رحمه الله_: [ولهذا تجد قوماً كثيرين: يحبون قوماً، ويبغضون قوماً لأجل أهوآء لا يعرفون معناها، ولا دليلها بل يوالون على إطلاقها أو يعادون من غير أن تكون منقولة نقلاً صحيحاً عن النبي صلى الله عليه وسلم وسلف الأمة، ومن غير أن يكونوا هم يعقلون معناها، ولا يعرفون لازمها، ومقتضاها .

وسبب هذا: إطلاق أقوال ليست منصوصة، وجعلها مذاهب يُدعى إليها، ويُوالى ويُعادى عليها .

وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته: ' إن أصدق الكلام: كلام الله ... إلخ ": فدين المسلمين: الإسلام، وهو دين الله الذي ارتضاه لعباده مبني على اتباع كتاب الله، وسنة نبيه، وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة، وما تنازعت فيه الأمة ردوه إلي الله والرسول ...

وليس لأحد أن ينصب شخصاً يدعو إلى طريقته، ويوالي ويعادي عليها غير النبي صلى الله عليه وسلم، ولا ينصب لهم كلاماً يوالى ويعادى عليه غير كلام النبي صلى الله عليه وسلم, وما اجتمعت عليه الأمة بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرقون به بين الأمة: يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة, ويعادون][1] .

وقال_ رحمه الله_ بعد أن تحدث عن الولاءات الباطلة: [فكيف يجوز مع هذا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أن تتفرق, وتختلف حتى يُوالي الرجل طائفة, ويعادي أخرى بالظن والهوى, وقد برّأ الله نبيه ممن كان هكذا .

فهذا فعل أهل البدع كالخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين, واستحلوا دماء من خالفهم، أما أهل السنة: فهم معتصمون بحبل الله][2] .

وقال_ كذلك_ رحمه الله_: [ومن حالف شخصاً على ان يوالي من والاه, ويعادي من عاداه: كان من جنس التتر المجاهدين في سبيل الشيطان، ومثل هذا ليس من المجاهدين في سبيل الله تعالى، ولا من جند المسلمين، ولا يجوز ان يكون مثل هؤلاء من عسكر المسلمين بل هؤلاء من عسكر الشيطان](3) .

ـ ـ فالحب والبغض، والنصرة والخذلان، والموافقة والمخالفة، وغير ذلك من معاني الولاء والبراء: اساسها الذي يجب ان تدور عليها: هو ما يحبه الله ويرضاه من القيام بدينه: علماً وعملاً، ويحرم ان تدور هذه المعاني على غير ذلك، وغير ذلك هو على التحقيق من حظوظ النفس واهوائها .

الكبير 289/3 " من حديث الحارث الاشعري .

(1) " الفتاوى 164/20 " .

(2) " الفتاوى 419/3: 420 " .

(3) " الفتاوى 19/28: 21 " .

(تعليق الأمور من: المحبة والبغضة، والموالاة والمعاداة، والنصرة والخذلان، والموافقة والمخالفة، والرضا والغضب، والعطاء والمنع بما يخالف هذه الأصول المنزلة من عند الله ممّا هو: أخص منها أو أعم منها أو أعم من وجه وأخص من وجه ...

فالأعم: ما عليه المتفلسفة، ومن اتبعهم من ضلال المتكلمة والمتصوفة في تسويغ التدين بغير ما جاء به محمد رسول الله، وإن عظّم محمداً صلى الله عليه وسلم وجعل دينه أفضل الأديان، **وكذلك من سوغ النجاة والسعادة بعد مبعثه بغير شريعته** .

والأعم من وجه والأخص من وجه: مثل الأنساب، والقبائل، والأجناس العربية، والفارسية، والرومية، والتركية أو الأمصار والبلاد .

والأخص مطلقاً: الانتساب إلى جنس معين من أجناس بعض شرائع الدين: كالتجند للمجاهدين، والفقه للعلمـــاء، والفقر والتصوف للعباد أو الانتساب إلى بعض فرق هذه الطوائف كإمام معين أو شيخ أو ملك أو متكلم من رؤوس المتكلمين أو مقالة أو فعل تتميز به طائفة أو نحو ذلك .

كل ذلك من أمور الجاهلية المفرقة بين الأمة، وأهلها خارجـــون عن السنة والجماعة، داخلون في البدع والفرقة .

بل دين الله تعالى أن يكون رسوله محمد صلى الله عليه وسلم: هو المطاع أمره، ونهيه، المتبوع في محبته ومعصيته، ورضاه، وسخطه، وعطائه، ومنعه، وموالاته، ومعاداته، ونصره، وخذلانه .

ويعطى كل شخص أو نوع من أنواع العالم من الحقوق: ما أعطاهم إياه الرسول، فالمقرب من قربه، والمقصى من أقصاه، والمتوسط من وسطه، ويحب من هذه الأمور: أعيانها، وصفاتها ما يحبه الله ورسوله منها، ويكره منها ما كرهه الله ورسوله منها، ويترك منها لا محبوباً ولا مكروهاً ما تركه الله ورسوله كذلك)(1).

ـ وهذا هو الميزان الحق، والمنهج القسط، الذي من حاد عنه: فقد غبنت صفقته، وبارت سلعته، وضل سواء السبيل .

* وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ألا إن آل أبي يعني فلاناً ليسوا لي بأولياء **إنما وليي: الله, وصالح المؤمنين** "(2) .

* وقال صلى الله عليه وسلم: " إن اوليائي منكم: المتقون، مَن كانوا، وحيث كانوا "(3) .

(فالواجب على العبد ان ينظر في نفس حبه وبغضه، ومقدار حبه وبغضه: هل هو موافق لامر الله

---

(1) " الفتاوى 3/341 : 343 " .

(2) " البخاري 5/2233 ", " مسلم 1/197 " .

(3) صحيح عن معاذ رضي الله عنه في " المعجم الكبير 20/120 ", " السنة لابن ابي عاصم 1/93 ", وقال في " المجمع 10/232 ": إسناده جيد .

ورسوله؟, وهو هدى الله الذي أنزله على رسوله، بحيث يكون مأموراً بذلك الحب والبغض، لا يكون متقدماً فيه بين يدي الله ورسوله، فإنه تعالى قد قال: { لا تقدموا بين يدي الله ورسوله }, ومَنْ أحب, وأبغض قبل أن يأمره الله ورسوله ففيه نوع من التقدم بين يدي الله ورسوله .

ومجرد الحب, والبغض: هوى، لكن المحرم اتباع حبه وبغضه بغير هدى من الله، ولهذا قال: { ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد } ...

فأخبر أن من اتبع هواه: أضله ذلك عن سبيل الله، وهو هدى الله الذي بعث به رسوله، وهو السبيل إليه)(1).

---

(1) "مجموع الفتاوى"28/132: 134 " .

ـ ـ **تنبيه هام:**

يخدع أقوام أنفسهم: حيث يزعمون أن ولاءهم ومحبتهم: لله، وفي الله, وحقيقة الحال يست كذلك إذ الولاء في الله, والمحبة فيه تعني: موالاة الشخص, ومحبته لدينه_ علماً, وعملاً_ لا غير كما سبق تقريره, وهنا علامتان لكون الولاء, والمحبة في الله حقاً, وصدقاً:

ـ العلامة الأولى:

أنه إذا كان العبد المحبوب من القائمين بدين الله_ علماً, وعملاً_, فحقيقة المحبة في الله والولاء فيه: أن لا تتغير بالموافقة أو المخالفة، ولا بالإحسان أو الإساءة، ولا بالبر أو الجفاء، فإذا تغيرت: علمنا أنها لم تكن لله في صدر أو ورد .

* قال يحيى بن معاذ_ رحمه الله_: " حقيقة الحب في الله: أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء "(1) .

فالمحبّة في الله: ينبغي أن يُراد بها وجه الله، فلا يحب الشخص إلا لله، وأن لا تزيد تلك المحبّة ببر المحبوب للمحب، ولا تنقص بجفائه إياه، فإن البغض ينبغي أن يُراد به وجه الله أيضاً، وأن يكون لله لا لسبب آخر بل يبغض الشخص إمّا: لكفره أو ابتداعه أو معصيته، فإن هذه هي أسباب البغض في الله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: [وليعلم أن المؤمن يُحب موالاته وإن ظلمك واعتدي عليك, والكافر يُحبُ معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك](2) .

ـ العلامة الثانية:

أنه إذا أحدث العبد المحبوب حدثاً في دينه خرج بمقتضاه عمّا كان عليه من العلم أو العمل, فإن من كون تلك المحبة وذلك الولاء في الله حقاً: أن تتبدل المحبة, والولاء إلى بغض بقدر ما أحدث في دينه(3), فإن لم تتبدل المحبة, والولاء: علمنا يقيناً أنها محبة, وولاء في حظوظ النفس, وأهوائها, والله سبحانه وتعالى من ذلك كله بريء ! .

وـ (من أحب لسبب: فبالضرورة يبغض لضده, وهذان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الاخر)(4) .

* وقد كان بشر_ رحمه الله_ يقول: " الحب في الله والبغض في الله, فإذا أحببت أحداً في الله فأحدث حدثاً: فأبغضه في الله فإن لم تفعل: لم يكن ذلك الحب في الله "(5) .

---

(1) " فتح الباري 62/1 " .

(2) " الفتاوى 209/28 " .

(3) والكلام هنا في المصر, الجاحد, الذي صار " الحدث " له صفة ثابتة امّا من كان " الحدث " منه هفوة, وزلة: فالأصل: العفو, والإغضاء, وإقالة العثرة, والاخذ بيده ليرجع إلى ما كان عليه لا إسلامه لنفسه, وشيطانه مع التذكر بان الحب, والبغض قد يجتمعان في الشخص الواحد, فلينتبه لهذا ! .

(4) " الإحياء للغزالي 144/2 " .

(5) " شعب الإيمان 70/7 " .

* وعن يوسف بن أسباط_ رحمه الله_, قال: سمعت سفيان الثوري: ' يقول إذا أحب الرجلُ الرجلَ في الله ثم أحدث حدثاً في الإسلام فلم يبغضه عليه؛ فلم يحبه في الله "[1] .

* وعن سفيان الثوري عن شيخ من الأنصار, قال: ' إذا أحببت رجلاً في الله ثم أحدث فلم أبغضه؛ فلم أكن أحببته في الله "[2] .

ـــ ومن مسالك الشيطان هنا: أن يَخدع الإنسان نفسَه, ويغشّها بالباطل متابعة منه لهواه، وضعفاً منه عن كبح نفسه عن غيها وضلالها: فيُلبس بغضَه للآخرين ممن هم أعظم منه قياماً بأمر الله علماً وعملاً: لبوساً شرعياً بزعم أن بغضه إياهم: لله، وفي الله، ويعلم الله سبحانه وتعالى الذي يعلم السر وأخفى: أن بغضه إنما هو: لنفسه ولهواه، فحقيقة الحامل على هذا البغض: الخلاف في رأي أو انتماء لم يُلزم به الشرع، ولكنه هوى النفوس وحقدها الملحاح الذي يزين الباطل في صورة الحق وليس ذلك بنافع أهله شيئاً، والله من وراء القصد .

قال ابن رجب_ رحمه الله_: [ولمّا كثر اختلاف الناس في مسائل الدين, وكثر تفرقهم: كثر بسبب ذلك تباغضهم وتلاعنهم, وكل منهم يظهر أنه يبغض لله, وقد يكون في نفس الأمر معذوراً, وقد لا يكون معذوراً بل يكون: متبعاً لهواه: مقصراً في البحث عن معرفة ما يبغض عليه, فإن كثيراً من البغض كذلك إنما يقع لمخالفة متبوع يظن أنه لا يقول إلا الحق, وهذا الظن: خطأ قطعاً, وإن أريد أنه لا يقول إلا الحق فيما خولف فيه: فهذا الظن قد يخطئ ويصيب, وقد يكون الحامل على الميل: مجرد الهوى والألفة أو العادة, وكل هذا: يقدح في أن يكون هذا البغض لله, **فالواجب على المؤمن: أن ينصح لنفسه, ويتحرز في هذا غاية التحرز, وما أشكل منه: فلا يدخل نفسه فيه خشية أن يقع فيما نهى عنه من البغض المحرم**][3] .

---

(1) "شعب الإيمان/71/7 " .

(2) ' المرجع السابق ' .

(3) "جامع العلوم والحكم/328 " .

المطلب الخامس

ثبوت الأخوة الإيمانية لأهلها

وهذا متفرع عمّا قبله، فإذا كان معقد الولاء هو الدين: فلا غرو أن تكون الأخوة الإيمانية ثابتة لكل مؤمن؛ أين كان، ومن كان .

* قال تعالى: {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض } [التوبة:71] .

* وقال تعالى: { إنما المؤمنون إخوة } [الحجرات:10] .

* وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه ... "(1) .

* وقال صلى الله عليه وسلم: " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً "(2) .

* وقال صلى الله عليه وسلم_ كذلك_: " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم: مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو: تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى "(3) .

* وقال صلى الله عليه وسلم: " إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد: يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس "(4) .

ـ ـ وهذه الحقوق الإيمانية_ بدلالة النصوص الصريحة_ ليس لها من شرط غير الإيمان، فمن وضع لها قيداً آخر من؛ جنس وقوم أو حزب وطائفة أو شيخ وزعيم أو موافقة لم يأمر بها الشرع في قول أو رأي أو مذهب أو انتماء: فقد ابتغى سنن الجاهلية، ورام في الإسلام ظلماً وفساداً .

* قال صلى الله عليه وسلم: " من ادعى دعوى الجاهلية فإنه جثا جهنم .

فقال رجل: يا رسول الله: وإن صلى وصام ؟

فقال صلى الله عليه وسلم: وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله التي سماكم: المسلمين، المؤمنين، عباد الله "(5) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: [ليس لاحد أن يُعلق: الحمد والذم، والحب والبغض، والموالاة والمعاداة، والصلاة واللعن بغير الاسماء التي علق الله بها ذلك؛ مثل: اسماء القبائل، والمدائن، والمذاهب،

---

(1) " البخاري2/862, 2550 ", " مسلم4/1996 " عن ابي هريرة_ رضي الله عنه_ .

(2) " البخاري1/182, 2/863 ", " مسلم4/1999 " عن ابي موسى_ رضي الله عنه_ .

(3) " البخاري5/2238 ", " مسلم4/1999 " عن النعمان بن بشير_ رضي الله عنه_, واللفظ لمسلم .

(4) حسن عن سهل بن سعد_ رضي الله عنه_: " احمد 5/340 ", " مصنف ابن ابي شيبة7/89", " المعجم الكبير6/131 ", وانظر: " المجمع8/87, 187 ", " تفسير ابن كثير4/213 " .

(5) سبق تخريجه .

والطرائق المضافة إلى الأئمة والمشايخ ...

فأما الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعاداة: فإنما تكون بالأشياء التى أنزل الله بها سلطانه_وسلطانه كتابه_, فمن كان مؤمناً: وجبت موالاته من أي صنف كان، ومن كان كافراً: وجبت معاداته من أي صنف كان](1) .

وقال_رحمه الله_ : [والله سبحانه قد أوجب موالاة المؤمنين بعضهم لبعض, وأوجب عليهم معاداة الكافرين، فقال تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين* فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين* ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهـم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين* يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم* إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون* ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون } .

قد أخبر سبحانه أن ولي المؤمن: هو الله، ورسوله، وعباده المؤمنون، وهذا عام في كل مؤمن موصوف بهذه الصفة سواء كان من أهل نسبه أو بلدة أو مذهب أو طريقة أو لم يكن .

وقال الله تعالى: { والمؤمنون والمؤمنات بعضـــهم أولياء بعض }, وقال تعالى: { إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض }](2) .

وقال_ رحمه الله_ كذلك: { وأمثال هذه النصوص في الكتاب, والسنة: كثيرة, وقد جعل الله فيها عبده المؤمنين: بعضهم أولياء بعض، وجعلهم إخوة، وجعلهم متناصرين, متراحمين, متعاطفين، وأمرهم سبحانه بالائتلاف، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف، فقال تعالى : { واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا }، وقال تعالى: { إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله } .

فكيف يجوز مع هذا لأمة محمد صلى الله عليه و سلم أن تفترق وتختلف حتى يوالي الرجل طائفة، ويعادي طائفة أخرى بالظن والهوى بلا برهان من الله تعالى، وقد برّأ الله نبيه صلى الله عليه و سلم ممن كان هكذا, فهذا فِعْل اهل البدع كالخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين، واستحلوا دماء مَن خالفهم .

وأما أهل السنة والجماعة فهم معتصمون بحبل الله، **وأقل ما في ذلك أن يفضل الرجل من يوافقه على هواه، وإن كان غيره أتقى لله منه، وإنما الواجب أن يقدم من قدمه الله ورسوله، ويؤخر من أخّره الله ورسوله، ويحب ما أحبه الله ورسوله، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله**، وينهى عمّا نهى الله عنه ورسوله، وان

---

(1) " الفتاوى28/227: 228 " .

(2) " الفتاوى3/419: 420 " .

يرضى بما رضي الله به ورسوله، وأن يكون المسلمون يداً واحدة][1] .

(1) " الفتاوى3/419: 420 " .

المطلب السادس

العدل مـــع الآخرين

وهو من ضوابط العمل الجماعي الهامة, والمميّزة لأهل الطائفة المنصورة عن أهل البدع, وهو_ على التحقيق_: من مقتضيات الأخوة وحقوقها، فإذا كان الولاء لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ودينه، وكانت الأخوة_ بناءً على ذلك_ ثابتة للمؤمنين: كان العدل أساساً للتعامل معهم مع كون العدل قيمة مطلقة في التعامل مع الناس جميعاً وأولى الناس به: المؤمنون حيث كانوا .

* قال تعالى: {يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً } .

فهذا أمر من الله تعالى بالقول السديد ولزومه، والقول السديد: هو مقتضى العدل، ومن ثم: فالخروج عن العدل: خروج عن السداد والرشاد ووقوع في الغي والفساد.

ولقد أعلى الله سبحانه وتعالى من شأن العدل أيّما إعلاء حيث أمر به أمراً مطلقاً، ولو كان في ذلك مخالفة لنزاعات النفس التي جُبلت عليها من الحب أو الكره، وهذا صريح في كون العدل قيمة ذاته .

* قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً } [النساء: 135] .

قال ابن جرير_رحمه الله_: [ومعناه: قوموا بالقسط لله عند شهادتكم أو حين شهادتكم، {ولو على أنفسكم }، يقول: ولو كانت شهادتكم على أنفسكم أو على والديكم أو أقربيكم فقوموا فيها بالقسط والعدل, وأقيموها على صحتها بأن تقولوا فيها الحق, ولا تميلوا فيها ...][1] .

قال ابن عباس_رضي الله عنهما_: " أمروا أن يقولوا الحق ولو على أنفسهم "[2] .

قلت: وقوله تعالى: { لله }: (معناه: لذات الله, ولوجهه, ولمرضاته, وثوابه)[3] .

قال الشيخ السعدي_رحمه الله_: [يأمر تعالى عباده المؤمنين ان يكونوا: { قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ }، والقوام: صيغة مبالغة, أي: كونوا في كل أحوالكم قائمين بالقسط الذي هو العدل في حقوق الله, وحقوق عباده, فالقسط في حقوق الله: ان لا يُستعان بنعمه على معصيته بل تصرف في طاعته, والقسط في حقوق الادميين: ان تؤدي جميع الحقوق التي عليك كما تطلب حقوقك, فتؤدي النفقات الواجبة, والديون وتعامل الناس بما تحب ان يعاملوك به من الاخلاق, والمكافاة, وغير ذلك .

ومن أعظم أنواع القسط: القسط في المقالات, والقائلين, فلا يحكم لاحد القولين أو أحد المتنازعين لانتسابه

---

(1) "تفسير الطبري5/321 " .

(2) "تفسير القرطبي5/413 " .

(3) "تفسير القرطبي5/412 " .

أو ميله لأحدهما بل يجعل وجهته العدل بينهما .

ومن القسط: أداء الشهادة التي عندك على أي وجه كان حتى على الأحباب بل على النفس، ولهذا قال: {شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا }، أي: فلا تراعوا الغني لغناه، ولا الفقير بزعمكم رحمة له بل اشهدوا بالحق على من كان .

والقيام بالقسط: من أعظم الأمور، وأدلها على دين القائم به وورعه ومقامه في الإسلام، فيتعين على من نصح نفسه، وأراد نجاتها أن يهتم له غاية الاهتمام، وأن يجعله نُصْب عينيه، ومحل إرادته، وأن يزيل عن نفسه كل مانع وعائق يعوقه عن إرادة القسط أو العمل به، وأعظم عائق لذلك: اتباع الهوى، ولهذا: نبه تعالى على إزالة هذا المانع بقوله: { فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا }، أي: فلا تتبعوا شهوات أنفسكم المعارضة للحق، فإنكم إن اتبعتموها: عدلتم عن الصواب، ولم توفقوا للعدل، فإن الهوى: إما أن يعمي بصيرة صاحبه حتى يرى الحق باطلاً، والباطل حقاً، وإما أن يعرف الحق ويتركه لأجل هواه، فمن سلم من هوى نفسه: وفق للحق، وهدي إلى الصراط المستقيم](1) .

* وقال تعالى أيضا: { يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون } [المائدة: 8] .

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: [يعني بذلك جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ليكن من أخلاقكم وصفاتكم: القيام لله، شهداء بالعدل في أوليائكم، وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم، وأفعالكم: فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعداوتهم لكم، ولا تقصروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدي، واعملوا فيه بأمري .

وأما قوله: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا }، فإنه يقول: ولا يحملنكم عداوة قوم أن لا تعدلوا في حكمكم فيهم، وسيرتكم بينهم: فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم من العداوة](2) .

وقال ابن كثير رحمه الله: [قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ}، أي: كونوا قوّامين بالحق لله عز وجل لا لأجل الناس والسمعة، وكونوا { شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ }، أي: بالعدل لا بالجور .

وقد ثبت في الصحيحين عن النعمان بن بشير أنه قال: " نحلني أبي نحلاً، فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا ارضى حتى تشهد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فجاءه ليشهده على صدقتي، فقال صلى الله عليه وسلم: اكل ولدك نحلتَ مثله ؟ .

قال: لا، فقال صلى الله عليه وسلم: اتقوا الله واعدلوا في اولادكم، وقال صلى الله عليه وسلم: إني لا اشهد على جور " .

قال : فرجع ابي فردّ تلك الصدقة " .

---

(1) "تفسير السعدي/125 " .

(2) "تفسير الطبري6/141 " .

وقوله تعالى: { وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا }، أي: لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم بل استعملوا العدل في كل أحد صديقاً كان أو عدواً .

ولهذا قال: { اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى }، أي: عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه، ودل الفعل على المصدر الذي عاد الضمير عليه كما في نظائره من القرآن وغيره كما في قوله: {وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم } .

وقوله: { هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى }: من باب استعمال أفعل التفضيل في المحل الذي ليس في الجانب الآخر منه شيء كما في قوله تعالى: { أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً }، وكقول بعض الصحابيات لعمر: أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال تعالى: {وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }، أي: وسيجزيكم على ما علم من أفعالكم التي عملتموها إن خيراً فخير وإن شراً فشر](1) .

وقال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى : [{ ولا يجرمنكم }، أي: لا يحملكم: { شنآن قوم }، أي: بغضهم، {على أن لا تعدلوا }: كما يفعله من لا عدل عنده ولا قسط بل كما تشهدون لوليكم: فاشهدوا عليه، وكما تشهدون على عدوكم: فاشهدوا له، فلو كان كافراً أو مبتدعاً: فإنه يجب العدل فيه وقبول ما يأتي به من الحق لا لأنه قاله، ولا يرد الحق لأجل قوله فإن هذا ظلم للحق .

{ اعدلوا هو أقرب للتقوى }: أي كلما حرصتم على العدل واجتهدتم في العمل به كان ذلك أقرب لتقوى قلوبكم فإن تم العدل كملت التقوى](2) .

* وعن جابر رضي الله عنه، قال: " أفاء الله خيبر على رسوله صلى الله عليه وسلم: فأقرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعلها بينه وبينهم، فبعث عبد الله بن رواحة: فخرصها عليهم، ثم قال: يا معشر اليهود، أنتم أبغض الناس إليّ: قتلتم أنبياء الله، وكذبتم على الله عز وجل، وليس يحملني بغضي إياكم على أن أحيف عليكم، قد خرصت عشرين ألف وسق من تمر، فإن شئتم: فلكم، وإن أبيتم: فلي .

فقالوا: بهذا قامت السموات والارض "(3) .

فتأمّل كيف أن هذا الصحابي الجليل لم تحمله محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهي محبة شرعية مأمور بها بل هي أعظم المحاب وأرضاها عند الله مع بغضه لليهود وهو بغض شرعي مأمور به أن يخرج عن مقتضى العدل معهم تغليباً لمحبته او بغضه، وهم: يهود ! .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: [ومعلوم اننا إذا تكلمنا فيمن هو دون الصحابة: مثل الملوك

---

(1) "تفسير ابن كثير2/31: 32 " .

(2) "تفسير السعدي/138 " .

(3) صحيح: " احمد3/364 ", " مصنف عبد الرزاق4/122: 124 ", " البيهقي الكبرى4/123 ", "الدارقطني2/133 ", واخرجه " ابو داود3/264 " مختصراً, والحديث مروي عن ابن عمر، وابي هريرة, وعائشة رضي الله عنهم، انظر: " المجمع4/121 ", " المعجم الاوسط7/304 " .

المختلفين على الملك, والعلماء والمشايخ المختلفين في العلم والدين: وجب أن يكون الكلام بعلم وعدل، لا بجهل وظلم، فإن **العدل واجب لكل أحد, وعلى كل أحد، في كل حال، والظلم محرم مطلقا لا يباح قط بحال،** قال تعالى: { ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى }, وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار، وهو بغض مأمور به، **فإذا كان البغض الذي أمر الله به قد نُهي صاحبُه أن يظلم من أبغضه، فكيف في بغض مسلم بتأويل أو شبهة أو بهوى نفس ؟!, فهو أحق أن لا يظلم بل يعدل عليه**][1].

فكيف يجوز بعد هذا لمسلم أن يسوغ لنفسه الخروج عن مقتضى العدل في تعامله مع غيره من المسلمين مهما عظمت مساحة الخلاف بينه وبينهم: فيكون الرمي بالباطل، وقالة السوء، وبخس الحقوق لمجرد مخالفتهم له في انتماء أو رأي لم يَأمر به الشرع ويُلزم، وهم من أهل دينه وملته مع كون العدل قيمة مطلقة كما ذكرنا ؟! .

ـ وقاعدة الطائفة المنصورة هنا: هي ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_ بقوله:

[والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم, وعدل لا بجهل وظلم كحال أهل البدع][2] .

وقال_ كذلك_ رحمه الله_: [ولما كان أتْبَاعُ الأنبياء هم أهل العلم والعدل، كان كلام أهل الإسلام والسنة مع الكفار وأهل البدع: بالعلم, والعدل لا بالظن, وما تهوى الأنفس][3] .

* وفي قوله صلى الله عليه وسلم: " القضاة ثلاثة: قاضيان في النار, وقاضٍ في الجنة رجلٌ علم الحق، فقضى به: فهو في الجنة، ورجلٌ علمَ الحق، فقضى بغيره: فهو في النار، ورجلٌ قضى للناس على جهل: فهو في النار "[4] .

قال ابن تيمية_ رحمه الله_: [فإذا كان من يقضي بين الناس في الأموال والدماء والأعراض إذا لم يكن عالماً, عادلاً: كان في النار، فكيف بمن يحكم في الملل والأديان، وأصول الإيمان، والمعارف الإلهية, والمعالم الكلية بلا علمٍ ولا عدل][5] .

ـــ ومن الجهل, والظلم: ذكرُ السيئات, والتشهير بها مع ترك الحسنات وطرحها, ولا سيما عندما تكون تلك الحسنات اعظم من السيئات الحاصلة، ومن اللطائف هنا: قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الانبياء: 47] .

فجعل الله سبحانه وتعالى: ذكر الحسنة وإن كانت يسيرة: من الميزان القسط .

---

(1) " منهاج السنة 126/5 " .

(2) " المرجع السابق " .

(3) " الجواب الصحيح 107/1 " .

(4) صحيح: " المستدرك 101/4 ", " الترمذي 613/3 ", " ابو داود 299/3 ", " النسائي الكبرى 461/3 ", " ابن ماجه 776/2 ", " البيهقي الكبرى 116/10 ", " المعجم الاوسط 63/4 ", " المعجم الكبير 20/2, 21 ", وانظر: " المجمع 196/4 " .

(5) " الجواب الصحيح 108/1 " .

قال أبو حاتم ابن حبان_ رحمه الله_: [سنا ممن يوهم الرعاع ما لا يستحله، ولا ممن يحيف بالقدح في إنسان_ **وإن كان لنا مخالفاً**_ بل نعطي كل شيخ حظه ممّا كان فيه، ونقول في كل إنسان ما كان يستحقه من العدالة والجرح[1]][2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: [وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا][3].

وقال_ كذلك_: [وأهل السنة والجماعة يقولون ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، وهو أن المؤمن يستحق وعد الله وفضله والثواب على حسناته، ويستحق العقاب على سيئاته، وأن الشخص الواحد يجتمع فيه ما يُثاب عليه وما يُعاقب عليه، وما يُحمد عليه وما يُذم، وما يُحبّ منه وما يُبغض منه][4] .

وقال_ أيضاً_ رحمه الله_: [والصواب أن يُحمد من حال كل قوم ما حمده الله ورسوله كما جاء به الكتاب والسنة، ويُذم من حال كل قوم: ما ذمه الله ورسوله كما جاء به الكتاب والسنة][5] .

_ _ هذا مع كون العدل يقضي مع البعض ممن كثر ماء بحر حسناته حتى فاض_ قريباً كان أم بعيداً، موافقاً كان أم مخالفاً_: أن توهب سيئاتُه لحسناته وتغمر فيها، فلا يُتنقّص بذكرها، والقاعدة المتفق عليها هنا أنه: إذا بلغ الماء قلتين: لم يحمل الخبث(6) .

* كما قال صلى الله عليه وسلم في حق عثمان_ رضي الله عنه_ يوم تصدق بتلك الصدقة العظيمة: " ما ضرّ عثمان ما فعل بعد هذا "(7) .

* وكما قال صلى الله عليه وسلم في حق أهل بدر: "وما يدريك، لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم "(8) .

* ومن حديث عائشة_ رضي الله عنها_، قال صلى الله عليه وسلم: " أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا

---

(1) وذكر الجرح لا يكون إلا لغرض شرعي لا على وجه الغيبة والتنقص أو التشهير لحظ النفس وهواها.

(2) " الثقات 646/7 " .

(3) " الفتاوى 209/28 " .

(4) " الفتاوى 16/11 " .

(5) " الاستقامة 221/1 " .

(6) هذا مع بيان الخطأ وعدم اتباعه عليه .

(7) " الترمذي 626/5 "، " الحاكم 110/3 " .

(8) " البخاري 1095/3 "، " مسلم 1941/4 " .

الحدود"(1) .

* وعن عروة بن الزبير بن العوام_ رحمه الله_ أنه سبّ حسان بن ثابت_ رضي الله عنه_، فقالت له خالته المطهرة عائشة_ رضي الله عنها_ (وكان حسان ممّن زل يوم الإفك)_: " يا ابن أختي: دعه، فإنه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "(2) .

فوهبت زلته لفضله_ رضي الله عنهما_ .

* وعن القاسم بن محمد_ رحمه الله_ أن رجلاً، قال: عجبتُ من عائشة حين كانت تصلي أربعاً في السفر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين ؟! .

فقال له القاسم بن محمد : " عليك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلَّ من الناس من لا يعاب "(3) .

قال ابن عبد البر_ رحمه الله_ تعليقاً على هذا الأثر: [قول القاسم هذا في عائشة: يشبه قول سعيد بن المسيب حيث قال: " ليس من عالم، ولا شريف، ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، ومن كان فضله أكثر من نقصه: وهب نقصه لفضله "](4) .

ويقول ابن تيمية_ رحمه الله_ في نفس المعنى: [وممّا يتعلق بهذا المعنى أن يُعلَم أن الرجل العظيم في العلم والدين من الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم إلى يوم القيامة_ أهل البيت وغيرهم_، قد يَحصل منه نوعٌ من الاجتهاد مقروناً بالظن، ونوع من الهوى الخفي: فيَحصل بذلك ما لا ينبغي اتباعه فيه **وإن كان من أولياء الله المتقين**](5) .

ويقول ابن القيم_ رحمه الله_ في الرجل الجليل من أهل الإسلام إنه : [قد يكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذورٌ بل مأجور لاجتهاده: فلا يجوز أن يتبع فيها، ولا يجوز **أن تُهدر مكانته, وإمامته, ومنزلته** في **قلوب المسلمين**](6) .

ورحم الله ابن الأثير الجزري حيث قال: [إنما السيد من عُدت سقطاته, وأخذت غلطاته, فهي الدنيا لا يكمل فيها شيء](7) .

---

(1) "أحمد181/6"،"أبوداود133/4"، " النسائي310،311/4"،" البيهقي267/8، 334/8"، "الدارقطني207/3 "، وهو حديث حسن، وانظر: " المجمع146/4، 282/6 " .

(2) "مسلم4/ 1933 " .

(3) " التمهيد170/11 " .

(4) " المرجع السابق " .

(5) "منهاج السنة النبوية543/4 " .

(6) " إعلام الموقعين283/3 " .

(7) ويروى نحوه عن الاحنف بن قيس، وانظر: " المستطرف للابشيهي146/1 "، "رسائل الجاحظ "، "التذكرة الحمدونية " .

قلتُ: وقد قيل:

تريد مهذباً لا عيب فيه وهل عودٌ يفوح بلا دخان

قال ابن القيم رحمه الله: [من قواعد الشرع، والحكمة أيضاً: أن من كثرت حسناته وعظمت، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر: فإنه يحتمل منه ما لا يحتمل لغيره، ويعفى عنه ما لا يعفى عن غيره، فإن المعصية: خبث، والماء إذا بلغ قلتين: لم يحمل الخبث، بخلاف الماء القليل: فإنه لا يحتمل أدنى خبث](1) .

ـ ومن اللطائف هنا قول شيخ الإسلام ابن تيمية في موسى عليه السلام حين ألقى الألواح، وجرّ بلحية أخيه، وفقأ عين ملك الموت: ولم يعتب عليه ربه: [فإنه قاوم فرعون أكبر أعداء الله تعالى وتصدى له ولقومه وعالج بني إسرائيل أشد المعالجة وجاهد في الله أعداء الله أشدّ الجهاد, وكان شديد الغضب لربه: فاحتمل له ما لم يحتمله لغيره, وذو النون لمّا لم يكن في هذا المقام: سجنه في بطن الحوت من غضبة، وقد جعل الله لكل شيء قدراً](2) .

* وقد قال إمام الطائفة المنصورة صلى الله عليه وسلم: " إنّ المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين: الذين يعدلون في حكمهم, وأهليهم, وما ولُوا "(3) .

فالمؤمن مأمور بالقيام في جميع أقواله وأفعاله بالقسط وهو العدل أمراً مطلقاً، فالعدل رائده، والعدل دافعه: فلا تحمله المحبة على تزيين الباطل والدفاع عنه في شخص من يحب، ولا تحمله الكراهية على رد الحق, والصد عنه في شخص من يكره، وإنما يدور مع العدل حيث دار ولو كان ذلك على حساب نفسه هو أو أقرب قريب وأحب حبيب .

ـ وفي بيان أن العدل: قيمة مطلقة، وأنه قيمة ذاته: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

[وأمور الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل الذي قد يكون فيه الاشتراك في بعض أنواع الإثم أكثر ممّا تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم يشترك في إثم، ولهذا قيل : إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة .

ويقال : الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام ...

وذلك أن العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل: قامت وإن لم يكن لصاحبها في الدين من خلاق، ومتى لم تقم بالعدل: لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يُجزى به في الاخرة](4) .

---

(1) "مفتاح دار السعادة 1/ 176 " .

(2) ذكره عنه تلميذه البار ابن القيم في "مدارج السالكين 2/456 " .

(3) مسلم 3/1458 " .

(4) " الاستقامة 2 / 247 ".

المطلب السابع

الحرص على الوحدة والائتلاف والبعد عن الفرقة والاختلاف

وهذا ليس فقط من ضوابط العمل الجماعي عند أهل الطائفة المنصورة بل هو من أصول الطائفة المنصورة, وأركان عملها بعد الاعتصام بالكتاب والسنة، وهو في نفس الوقت من أسباب نصرها, وظهورها على أعدائها .

* قال الله تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا } .

قال ابن كثير_ رحمه الله_ في تفسيره لهذه الآية: [وقوله تعالى: { ولا تفرقوا }, أمرهم بالجماعة، ونهاهم عن الفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة في النهي عن التفرق، والأمر بالاجتماع](1) .

وقال القرطبي_ رحمه الله_: [فإن الله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة، فإن الفرقة هلكة، والجماعة نجاة, ورحم الله ابن المبارك حيث يقول:

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا منه بعروته الوثقى لمن دانا](2) .

وقال عند تفسير قوله تعالى: { ولا تفرقوا }: [ولا تفرقوا متابعين لهوى والأغراض المختلفة، وكونوا عباد الله إخواناً، فيكون ذلك مانعاً لهم من التقاطع والتدابر](3) .

ـ ـ وقد ذمّ الله تعالى الفرقة غاية الذم، وبيّن آثارها وعواقبها الوخيمة على أصحابها:

* فقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلى الله ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } [الأنعام: 159] .

وهذه الاية ممّا يجب أن تقشعر له قلوب أهل الفرقة: الساعين فيها، الحريصين عليها: حيث نصّ تعالى على أن النبي صلى الله عليه وسلم متبرئ منهم: فهو صلى الله عليه وسلم ليس منهم في شئ ! .

ـ وقد بيّن تعالى بأتم عبارة وأوضحها: أن الفرقة في الدين بجعل الناس شيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون: من دين المشركين الذين نُهينا عن مشابهتهم فيه .

* قال تعالى: {وَلا تَكُونُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ مِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ }

[الروم: 31_32] .

ـ وقد بيّن تعالى_ كذلك_ ان التفرق والنزاع: سبب للفشل والهزيمة ولو كان هؤلاء الجند: هم الصحابة الكرام_ رضوان الله عليهم_، ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم: بين اظهرهم .

---

(1) "تفسير ابن كثير390/1 " .

(2) "تفسير القرطبي159/4 " .

(3) " المرجع السابق " .

* قال تعالى: { وَلَقَدْ صَدَقَكُمْ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ } [آل عمران: 152] .

ولا شك أن غير الصحابة_ رضي الله عنهم_: أولى أن يشملهم هذا الوعيد عند حدوث سببه من التفرق والتنازع، فهو_ أي: كون التفرق والتنازع موجباً للفشل والهزيمة_: قانون كلي، وقاعدة مطردة .

* وقال تعالى: { وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا } [الأنفال: 46] .

ـ ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله يَرضى لكم ثلاثاً, ويَسخط لكم ثلاثاً: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا .

ويسخط لكم ثلاثا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال "(1) .

* وقال صلى الله عليه وسلم: " عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد منكم بحبوحة الجنة: ليلزم الجماعة "(2) .

* وقال صلى الله عليه وسلم: " يد الله مع الجماعة "(3) .

* وقال صلى الله عليه وسلم: " الجماعة: رحمة, والفرقة: عذاب "(4) .

* وقال صلى الله عليه وسلم: " وأنا آمركم بخمس الله آمرني بهن: بالجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد "(5) .

ـ كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاختلاف، وحذّر منه، وبين أنه هلاك الأمم، ومن ذلك:

* ما رواه البخاري عن النزال بن سبره عن عبد الله بن مسعود_رضي الله عنه_, قال: " سمعت رجلاً قرأ اية سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ خلافها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرت له ذلك، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: " كلاكما محسن، ولاتختلفوا, فإن من كان قبلكم اختلفوا

---

(1) مسلم .

(2) صحيح: " الترمذي465/4 ", " النسائي الكبرى388/5 ", " المختارة295/1 " عن عمر_ رضي الله عنه_ .

(3) حسن: " الترمذي466/4 " عن ابن عباس_ رضي الله عنهما_, وهو مروي عن عرفجة الاشجعي_رضي الله عنه_ كما في " صحيح ابن حبان438/10 ", " الشعب للبيهقي66/6 ", واصل حديث عرفجة عند " مسلم1479/3, 1480 ", وانظر: " الاستيعاب1063/3 " .

(4) حسن: " احمد278/4, 375 ", " مسند الشهاب43/1 ", " السنة لابن ابي عاصم435/2 ", " الشعب516/6 ", وانظر: " المجمع182/8", " الترغيب46/2 " عن النعمان بن بشير_ رضي الله عنه_ .

(5) صحيح: " صحيح ابن خزيمة195/3 ", " ابن حبان125/14 ", " المستدرك204/1, 582 ", " الترمذي148/5", " احمد130/4, 202", وغيرهم عن الحارث الاشعري_ رضي الله عنه_ .

فهلكوا"[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله وطيب ثراه_: [نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع الآخر من الحق لأن كلا القارئين كان محسناً فيما قرأه، وعلل ذلك بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا, فأفاد ذلك بشيئين:

أحدهما: تحريم الاختلاف في مثل هذا .

والثاني: الاعتبار بمن كان قبلنا, والحذر من مشابهتهم .

واعلم أن أكثر الاختلاف بين الأمة الذي يورث الأهواء تجده من هذا الضرب، وهو: أن كل واحد من المختلفين مصيباً فيما يثبته أو في بعضه، مخطئاً في نفي ما عليه الآخر كما أن القارئين كل منهما كان مصيباً في القراءة بالحرف الذي علم، مخطئاً في نفي حرف غيره؛ فإن أكثر الجهل إنما يقع في النفي الذي هو الجحود والتكذيب لا في الإثبات لأن إحاطة الإنسان بما يثبته أيسر من إحاطته بما ينفيه, ولهذا نُهيت الأمة أن تضرب آيات الله بعضها ببعض لأن مضمون الضرب: الإيمان بإحدى الآيتين، والكفر بالأخرى إذا اعتقد فيهما تضاداً إذ الضدان لا يجتمعان][2] .

ـــ وقد تواطأ السلف على الأمر بالوحدة والاجتماع والحث عليهما، والنهي عن الفرقة والنزاع والتحذير منهما، وكثر في ذلك كلامُهم، ومن ذلك:

* عن ابن مسعود_ رضي الله عنه_، قال: " يا أيها الناس عليكم بالطاعة, والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة, هو خير ممّا تستحبون في الفرقة "[3] .

* ولما صلى عثمان بن عفان_ رضي الله عنه_ بمنى أربع ركعات باجتهاد منه_ رضي الله عنه_ وهو الإمام المطاع: قيل ذلك لعبد الله بن مسعود فاسترجع، ثم قال: "صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين, وصليت مع أبي بكر_ رضي الله عنه_ بمنى ركعتين، وصليت مع عمر بن الخطاب_ رضي الله عنه_ بمنى ركعتين, فليت حظي من أربع ركعات: ركعتان متقبلتان " .

ثم صلى عبد الله بن مسعود_ رضي الله عنه_ بعد ذلك **أربعاً**، فقيل له: عبت على عثمان ثم صليت أربعاً .

فقال_ رضي الله عنه_: " الخلاف: شر "[4] .

* وفي لفظ: " إني أكره الخلاف "[5] .

---

(1) " البخاري1282/3 " .

(2) " اقتضاء الصراط المستقيم/35: 36 " .

(3) " تفسير الطبري32/4 " .

(4) " ابو داود199/2"، " البيهقي الكبرى143/3 ", وهو في " مصنف عبد الرزاق516/2 ", " البزار71/5 ", " المعجم الاوسط368/6 ", " ابو يعلى256/9 " .

(5) " البيهقي144/3 " .

فرحم الله أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم: ما كان أفقههم، وأورعهم، وأحرصهم على الائتلاف، وجمع الكلمة .

* وعن ابن عباس _ رضي الله عنهما_ أنه قال سماك الحنفي: " يا حنفي: الجماعة، الجماعة، فإنما هلكت الأمم الخالية تفرقها، أما سمعت الله يقول: {واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا } "[1] .

* وعن ابن عباس_ رضي الله عنهما_ أيضاً_قال: " أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء, والخصومات في دين الله "[2] .

* وعن قتادة_ رحمه الله_, قال: " إن الله عز وجل قد كره كم الفرقة, وقدّم إليكم فيها، وحذركموها ونهاكم عنها، ورضي لكم السمع والطاعة، والألفة والجماعة، فارضوا لأنفسكم ما رضي الله كم "[3] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: [إن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليفَ القلوب، واجتماعَ الكلمة،وصلاحَ ذات البين، فإن الله يقول: { فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم }، ويقول: { واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا }، وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف، وتنهى عن الفرقة والاختلاف، وأهل هذا الأصل: هم أهل الجماعة كما أن الخارجين عنه: هم أهل الفرقة][4] .

ويقول_ رحمه الله_: [وهذا الأصل العظيم، وهو الاعتصام بحبل الله جميعاً وألا يتفرق: هو من أعظم أصول الإسلام، وممّا عظمت وصية الله به في كتابه, وممّا عظم ذمَّه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم، وممّا عظمت به وصية النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن عامة أو خاصة مثل قوله صلى الله عليه وسلم: " عليكم بالجماعة, فإن يد الله على الجماعة " ...

وباب الفساد الذي وقع في هذه الأمة بل وفي غيرها: هو التفرق والاختلاف، فإنه وقع بين أمرائها, وعلمائها من ملوكها, ومشايخها, وغيرهم من ذلك ما الله به عليم][5] .

وقال_ أيضاً_ رحمه الله_: [من الأمر بالمعروف،والنهي عن المنكر: الأمر بالائتلاف والاجتماع،والنهي عن الاختلاف والفرقة][6] .

وقال_ رحمه الله_ مبيناً نتيجة الاختلاف والتفرق وأثرهما مقارنة بالوحدة والاجتماع:

[ونتيجة الجماعة: رحمة الله, ورضوانه، وصلواته،وسعادة الدنيا والاخرة،وبياض الوجوه، ونتيجة الفرقة:

---

(1) "تفسير القرطبي164/4 " .

(2) "تفسير الطبري39/4, 330/5, 229/7, 88/8 " .

(3) " المرجع السابق32/4 " .

(4) " الفتاوى51/28 " .

(5) " الفتاوى360/22 " .

(6) " الفتاوى421/3: 422 " .

عذاب الله، ولعنته، وسواد الوجوه، وبراءة الرسول منهم][1] .

وقال_ كذلك_: [وهذا التفريق الذي حصل من الأمة: علمائها، ومشائخها، وأمرائها، وكبرائها: **هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها**، وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله][2] .

وقال_ أيضاً_: [وإذا تفرق القوم: فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا: صلحوا وملكوا، فإن الجماعة: رحمة، والفرقة: عذاب][3] .

ـــ ومن ثم، كان الحرص على جمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم، والعمل على إزالة موانع ذلك من أسباب الفرقة والاختلاف: من أعظم أعمال البر، وأزكاها عند الله تعالى .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [إن السعي والدعوة إلى جمع المسلمين وإلى إصلاح ذات بينهم: هو أفضل الأعمال، وإنه أفضل من استغراق الزمان بالصوم والصلاة، ومن أعظم وأجل الجهـــاد في سبيل الله .

وعلى المسلمين أن لا يجعلوا الاختلاف بينهم في الأقوال والمذاهب، وفي الملك والسياسة: حائلاً يحول بينهم وبين الأخوة الدينية، والرابطة الإيمانية بل تجعل الخلافات كلها، والأغراض الجزئية تبعاً لهذا الأصل الكبير][4] .

ـــــ وأخيراً، فإن الحرص على الوحدة والائتلاف، والبعد عن الفرقة والاختلاف: هو مقتضى ما أمر الشرع به، وحث عليه، وجعله الدعامة الأساسية_ بعد تحقيق التوحيد والإيمان_ التي يقوم عليه البناء الحقيقي لهذا الدين_ علماً وعملاً، دعوةً وجهاداً_ ألا وهو: الولاء الإيماني إذ الولاء الإيماني: لحمة الجماعة الواحدة وسداها، والجماعة الواحدة ذات الولاء الإيماني: هي الترجمة العملية، والتجسيد الواقعي الحي لهذا الولاء، فلا جماعة بغير ولاء إيماني، ولا ولاء إيماني حقيقي بغير جماعة، وتأمّل قوله تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ } [الأنفال: 73] .

تدرك أن هذه الجماعة الواحدة **القائمة على الولاء الإيماني**: هي المقوم العملي الأول_ بعد تحقيق التوحيد والإيمان_ في الوقوف أمام التجمع الجاهلي ذي الولاء الكفري، ولذا كانت المقوم الأول لدفع الفتنة_ بأنواعها المختلفة_، والفساد الكبير .

وعند التفرق والاختلاف لا يتحقق الولاء الإيماني بين أهله ضرورة، ومن ثم: يتوزع المسلمون شيعاً وأحزاباً، وتنتهبهم الفرقة: فتختفي جماعتهم الواحدة أمام التجمع الجاهلي: فتكون الفتنة، ويكون الفساد الكبير .

قال سيد_ رحمه الله_: [المسلمون الذين لا يقيمون وجودهم على اساس التجمع العضوي الحركي ذي الولاء الواحد، والقيادة الواحدة: يتحملون امام الله_ فوق ما يتحملون في حياتهم ذاتها_ تبعة تلك الفتنة في الارض،

---

(1) " الفتاوى17/1 " .

(2) " الفتاوى421/3 " .

(3) " الفتاوى421/3 " .

(4) "وجوب التعاون بين المسلمين/5 " .

وتبعة هذا الفساد الكبير][1] .

(1) "ظلال القران/1560 " .

ـ ـ مسألة هامة:

مفهوم الوحدة والاجتماع عند الطائفة المنصورة .

الوحدة عند الطائفة المنصورة وسيلة وليست غاية، بمعنى أنها مطلوبة من حيث كونها وسيلة لإقامة الدين لا من حيث ذاتها إذ الاجتماع المأمور به شرعاً: هو الاجتماع على الحق لا على الباطل، فهو اجتماع أديان لا اجتماع أبدان .

* قال تعالى: { وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } [العصر: 1ـ3] .

فالأمر: هو التواصي بالحق_ والحق مطلقاً هو: الكتاب والسنة_، وهذا ممّا عُلق عليه الاستثناء من الخسران الشامل لجنس الإنسان، فاجتماع لا يقوم على التواصي بالحق_ كتاباً وسنة_: أهله في خسران بنص الآية الكريمة الذي لا يقبل التأويل .

كما أن اجتماعاً هذا شأنه_ أي: لا يقوم على التواصي بالحق: دعوةً وعملاً_: مدعاة لتخلف نصر الله, وتوفيقه إذ نصر الله وتوفيقه مرتبط بالقيام بالحق, والعمل به كما قال تعالى: { إن تنصروا الله: ينصركم } .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: [فلا تكون طاعة لله ورحمته بفعلٍ لم يأمر الله به من: اعتقاد أو قول أو عمل، **فلو كان القول أو العمل الذي اجتمعوا عليه لم يأمر الله به: لم يكن ذلك طاعة لله، ولا سبباً لرحمته**](1) .

وقال_ كذلك_: [وهذا التفريق الذي حصل من الأمة_ علمائها, ومشايخها, وأمرائها, وكبرائها_: هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها, **وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله**](2) .

ـــ وقد أخبرنا تعالى أن ترك بعض الحق: هو عين موجب التفرق بل موجب العداوة والبغضاء .

* قال تعالى: { وَمِنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً ممّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمْ الله بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } [المائدة: 14] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: [فأخبر أن نسيانهم حظاً ممّا ذكروا به، وهو ترك العمل ببعض ما أمروا به: كان سبباً لإغراء العداوة والبغضاء بينهم .

وهكذا هو الواقع فى اهل ملتنا مثلما نجده بين الطوائف المتنازعة في اصول دينها، وكثير من فروعه من اهل الاصول والفروع](3) .

---

(1) " الفتاوى17/1 " .

(2) " الفتاوى421/3 " .

(3) " الفتاوى14/1: 15 " .

ويقول_ أيضاً_: [فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به: وقعت بينهم العداوة والبغضاء][1] .

* وقد قال تعالى_ أيضا_: {وإن هذا أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون } [المؤمنون: 52] .

فأمر تعالى منعاً للاختلاف، وعصمة منه: بتقواه، وتقواه إنما هي: امتثال أمره، واجتناب نهيه .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ أُمَّةً وَاحِدَةً } متفقة على دين واحد، وربكم واحد، { فَاتَّقُونِ }، بامتثال أوامري، واجتناب زواجري ...

{ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا }، أي: تقطع المنتسبون إلى اتباع الأنبياء { أَمْرَهُمْ }, أي: دينهم، { بَيْنَهُمْ زُبُراً }، أي: قطعاً، { كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ }، أي: بما عندهم من العلم والدين، { فَرِحُونَ } يزعمون أنهم المحقون وغيرهم على غير الحق **مع أن المحق منهم: من كان على طريق الرسل**][2] .

وقال الشيخ السعدي_ رحمه الله_ أيضاً_ في قوله تعالى: {ولا تكونوا من المشركين مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } [الروم: 31_ 32]، قال:

[وفي هذا تحذير للمسلمين من تشتتهم, وتفرقهم فرقاً كل فريق يتعصب لما معه من حق, وباطل: فيكونون مشابهين بذلك للمشركين في التفريق بل الدين واحد, والرسول واحد, والإله واحد][3].

_ فتبين بذلك أن جمع الحق والعمل به: هو موجب الاتحاد والاجتماع كما أنه في الوقت نفسه: العاصم من التفرق والنزاع .

ـــ وإذا كان الاجتماع على التحقيق هو اجتماع القلوب ألفةً ومحبةً, فالقلوب: لا يجمعها ولا يألف بينها إلا الله، والله سبحانه وتعالى لا يألف بين القلوب ولا يجمعها إلا إذا كانت قائمة بالحق: دعوةً إليه وعملاً به .

* قال تعالى: {وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ الله هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ الله أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }

[ال عمران: 62_ 63] .

وإنما ألف الله بين قلوبهم وجمع: لاجتماعهم على الحق وقيامهم به، والجزاء من جنس العمل، فلما اجتمعوا على الحق: جمع الله بينهم .

قال الشاطبي_ رحمه الله_: [ولذلك قال: {واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا } فبين ان التاليف إنما يحصل عند الائتلاف على التعلق بمعنى واحد، واما إذا تعلقت كل شيعة بحبل غير ما تعلقت به الاخرى: فلا بد من التفرق، وهو معنى قوله تعالى: {وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن

---

(1) " الفتاوى3/421 " .

(2) "تفسير السعدي/396 " .

(3) "تفسير السعدي/466 " .

سبيله }][1] .

* وفي الحديث المتفق عليه عن النعمان بن بشير_ رضي الله عنه_، قال صلى الله عليه وسلم: ' لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم "[2] .

* وفي رواية: قال النعمان بن بشير_ رضي الله عنه_ أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال: ' أقيموا صفوفكم ثلاثاً، والله لتقيمن صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم " .

قال: ' فرأيت الرجل يلزق كعبه بكعب صاحبه، ومنكبه بمنكب صاحبه "[3] .

* ومن حديث البراء بن عازب_ رضي الله عنه_، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ' لا تختلف صفوفكم: فتختلف قلوبكم "[4] .

وقد ترجم إمام الأئمة ابن خزيمة_ رحمه الله_ لهذا الحديث بقوله: " باب: التغليظ في ترك تسوية الصفوف تخوفاً لمخالفة الرب عز وجل بين القلوب "[5] .

قال النووي_ رحمه الله_ في قوله صلى الله عليه وسلم: "أو ليخلفن الله بين وجوهكم "في حديث النعمان بين بشير_ رضي الله عنه_ عند الشيخين:

[قيل: معناه يمسخها ويحولها عن صورها لقوله صلى الله عليه وسلم: ' يجعل الله تعالى صورته صورة حمار ', وقيل: يغير صفاتها والأظهر_ والله أعلم_: أن معناه يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب كما يقال: تغير وجه فلان عليّ أي ظهر لي من وجهه كراهة لي وتغير قلبه علي لأن مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن][6] .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر_ رحمه الله_ قول النووي السابق ثم علق عليه بقوله:

[ويؤيده رواية أبي داود، وغيره بلفظ: ' أو ليخالفن الله بين قلوبكم "][7] .

فتأمّل كيف أن هذه المخالفة البسيطة في نظر الكثيرين: موجبة لتنافر القلوب وتناكرها ممّا يُؤذن بالاختلاف والفرقة المؤذنَيْن بالعداوة والبغضاء، والله المستعان .

---

(1) " الاعتصام409/2 " .

(2) "صحيح البخاري253/1 "، "مسلم324/1 " .

(3) "صحيح ابن حبان548/5: 549 "، "ابو داود178/1 "، "الدارقطني282/1 " .

(4) "صحيح ابن خزيمة24/3 "، "ابن حبان530/5 "، "المستدرك765/1 "، "المجتبى89/2 " .

(5) "شرح مسلم157/4 " .

(6) "صحيح ابن خزيمة24/3 " .

(7) "فتح الباري207/2 " .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: [فظهر أن سبب الإجتماع والألفة: **جمع الدين والعمل به كله**، وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما أمر به باطناً وظاهراً، وسبب الفرقة: ترك حظ ممّا أُمِرَ العبدُ به, والبغي بينهم](1) .

وقال_ أيضاً_ رحمه الله_: [وأما الحقوق العامة، فالناس نوعان: رعاة، ورعية، فحقوق الرعاة: مناصحتهم، وحقوق الرعية: لزوم جماعتهم، فإن مصلحتهم لا تتم إلا باجتماعهم وهم لا يجتمعون على ضلالة بل مصلحة دينهم ودنياهم **في اجتماعهم, واعتصامهم بحبل الله**](2) .

ـــ وقد بيّن الشرع أن الاجتماع وسيلة للقيام بالدين لا غاية يوقف عندها مع ضياع الدين وذهابه:

* قال تعالى {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا } .

فأمر تعالى أولاً بالاعتصام بالكتاب والسنة ثم نهى بعد ذلك عن التفرق: فعُلم أن التفرق المنهي عنه إنما هو التفرق في إقامة الدين من أهله المعتصمين بحبل الله: كتاباً وسنة .

قال ابن جرير_ رحمه الله_ في تفسيره لهذه الآية السابقة: [يريد بذلك تعالى ذكره: وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به, وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم من الألفة والاجتماع **على كلمة الحق, والتسليم لأمر الله**](3) .

وقال_ رحمه الله_ أيضاً_ في قوله تعالى: { ولا تفرقوا }: [يعني جل ثناؤه بقوله: { ولا تفرقوا }, ولا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذي عهد إليكم في كتابه من الائتلاف والاجتماع **على طاعته, وطاعة رسوله, والانتهاء إلى أمره**](4) .

وقال الشوكاني_ رحمه الله_ في نفس الاية: [أمرهم سبحانه بأن يجتمعوا **على التمسك بدين الإسلام**](5) .

فالأمر أولاً: هو أمر تمسك بالكتاب, والسنة ثم الاجتماع على ذلك وعدم التفرق فيه، (فإن القرآن يأمر بدين الإسلام، وذلك هو عهده وأمره وطاعته، والاعتصامُ به جميعاً إنما يكون في الجماعة)(6) .

وإنما ذمّ التفرق والاختلاف أساساً لأن (التفرق والاختلاف يقوم فيه من أسباب الشر، والفساد، **وتعطيل الاحكام** ما يعلمه من يكون من اهل العلم العارفين)(7) .

---

(1) "فتاوى ابن تيمية17/1 " .

(2) "فتاوى ابن تيمية18/1 " .

(3) "تفسير الطبري31/4 "

(4) "تفسير الطبري32/4 " .

(5) "فتح القدير367/1 " .

(6) "منهاج السنة134/5 " .

(7) " الفتاوى477/27 " .

قال القرطبي_رحمه الله_: [فأوجب تعالى علينا التمسك بكتابه, وسنة نبيه, والرجوع إليهما عند الاختلاف، **وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة: اعتقاداً, وعملاً, وذلك: سبب اتفاق الكلمة, وانتظام الشتات الذي يتم به مصالح الدنيا, والدين, والسلامة من الاختلاف**][1] .

ـ وعليه؛ فالوحدة المطلوبة[2] هي الوحدة على الحق_ ما كان عليه صلى الله عليه وسلم وأصحابه_ للقيام بهذا الحق والتمكين له، وهو ما صرحت به الآية بقوله تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعاً }: فنص تعالى على أن الاعتصام إنما هو بحبله: كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

* وقد قال تعالى_ أيضاً_: { شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ الله يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } [الشورى: 13] .

فأمر أولاً بإقامة الدين: { أَنْ أَقِيمُوا **الدِّينَ** }, وأكّد ذلك بقوله: { وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ }, والمراد: (أي: أمركم أن تقيموا جميع شرائع الدين: أصوله, وفروعه تقيمونه بأنفسكم, وتجتهدون في إقامته على غيركم, وتعاونون على البر والتقوى, ولا تعاونون على الإثم, والعدوان .

{وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ }, أي: ليحصل منكم الاتفاق على أصول الدين, وفروعه)[3] .

ـ وبنحو هاتين الآيتين السابقتين من الأمر أولاً بإقامة الدين:

* جاء قوله تعالى: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ مِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } [الروم: 30_32] .

وفي هذه الايات جميعاً: جاء النهي عن التفرق بعد الأمر بإقامة الدين، فإقامة الدين_ بالاعتصام بالكتاب والسنة_: الأصل, والغاية، وترك التفرق: الفرع, والوسيلة .

والوقوف عند الفرع والوسيلة مع ضياع الاصل, والغاية: عمل معكوس، وجهد ضائع، وسعي في غير محل: هيهات أن يؤتي ثمرته .

ـ وتأمّل بعين البصر والبصيرة: قوله تعالى: { يا أيها الذين امنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون، **وأطيعوا الله ورسوله**, ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين }

[الانفال: 45_46].

---

(1) "تفسير القرطبي164/4 " .

(2) هذه وحدة نوعية خاصة، وهي الاصل والاساس الذي يجب ان يُسعى إليه, ويُرد الناس له إلا ان هناك دائرة اوسع تحكمها قواعد المصالح والمفاسد الشرعية .

(3) "تفسير السعدي/553 " .

فأمر تعالى_ قبل النهي عن التنازع_ بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

يقول سيد_ رحمه الله_ في كلام جد نفيس: [وأما طاعة الله ورسوله: فلكي يدخل المؤمنون المعركة مستسلمين لله ابتداءً، فتبطل أسباب النزاع التي أعقبت الأمر بالطاعة: { ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم}...

فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه، وإلا حين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجّه الآراء والأفكار، **فإذا استسلم الناس لله ورسوله: انتفى السبب الأول الرئيسي للنزاع بينهم** مهما اختلفت وجهات النظر في المسألة المعروضة](1) .

ـ ـ ورغم ما جاء من الأمر المؤكد بلزوم جماعة المسلمين، والوعيد الشديد لمن فارقها: فقد جاء من حديث عبادة بن الصامت_ رضي الله عنه_ المتفق عليه، قال:

" دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، **وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان** "(2) .

* وعن عوف بن مالك الأشجعي_ رضي الله عنه_، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" خيار أئمتكم: من تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم: الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم .

قلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم عند ذلك .

قال: **لا، ما أقاموا لكم الصلاة** "(3) .

فهذان الحديثان_ بالإضافة لما سبق_ دالان_ الأول منطوقاً، والثاني مفهوماً_ على أنه إذا عاد الفرع على الأصل بالإبطال، وكانت الوسيلة غير محققة للغاية: فلا وحدة، ولا اجتماع .

* ونحو ذلك: ما أخرجه الإمام البخاري_ رحمه الله_ عن معاوية_ رضي الله عنه_، قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن هذا الامر في قريش لا يعاديهم احد إلا كبّه الله على وجهه **ما أقاموا الدين** "(4) .

ـ فأساس الوحدة: الاجتماع على عواصم الدين، ومحكمات الشريعة، وقواعد الملة، والجمل الثابتة فيها دون الاجتماع على جزئيات أو خصوصيات يَبعَض بها الدين، ويَختزل فيها .

---

(1) " في ظلال القرآن/1528: 1529 " .

(2) " البخاري6/2588 "، " مسلم3/1470 " .

(3) " احمد6/24 "، " ابن حبان10/449 "، " الكبير18/62: 63 " .

(4) " البخاري3/1289 " .

فالجامع_ بإذن الله_: هو الحق، والمفرّق: هو الباطل أياً كانت صورتة، وقد أبدع البحتري حين قال:

إذا ما الجُرحُ رُمَّ عَلى فَسادٍ تَبَيَّنَ فيهِ تَفريطُ الطَبيبِ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: [كون الأستاذ يريد أن يوافقه تلميذه على ما يريد: فيوالي من يواليه، ويُعادي من يُعاديه مطلقاً، وهذا حرام ليس لأحد أن يأمر به أحداً، ولا يجيب عليه أحد بل **تجمعهم السنة، وتفرقهم البدعة، يجمعهم فعل ما أمر الله به ورسوله، وتفرق بينهم معصية الله ورسوله**](1) .

ـ ـ. وممّا يوضح ما سبق ويؤكده: أن " الجماعة " المأمور بها في الشرع وإن كان لها عدة معان إلا أن هذه المعاني المتعددة تدور كلها حول الحق وأهله المجتمعين عليه .

* وقد مر معنا قوله تعالى: { واعتصموا بحبل الله جميعاً } .

* كما مر معنا_ كذلك_: قوله صلى الله عليه وسلم: " وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ... " الحديث .

* كما قال صلى الله عليه وسلم: " إنما هلك من كان قبلكم: باختلافهم في **الكتاب** "(2).

* وقال صلى الله عليه وسلم في وصف الفرقة الناجية " الجماعة ": " من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي "(3) .

قال أبو شامة_ رحمه الله_: [حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به: لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف له كثيراً لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولا نظر إلى كثرة أهل البدع بعدهم .

قال عمرو بن ميمون الأودي: " صحبت معاذاً باليمن، فما فارقته حتى واريته في التراب بالشام ثم صحبت بعده أفقه الناس: عبد الله بن مسعود_ رضي الله عنه_، فسمعته يقول: عليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة، ثم سمعته يوماً من الأيام وهو يقول: سَيَلِي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فصلوا الصلاة لميقاتها، فهي الفريضة، وصلوا معهم فإنها لكم نافلة .

قلت: يا أصحاب محمد، ما أدري: ما تحدثونا ؟ .

قال: وما ذاك ؟ .

قلت: تأمرني بالجماعة وتحضّني عليها، ثم تقول صَلِّ الصلاة وحدك، وهى الفريضة، وصل مع الجماعة وهى نافلة ؟! .

قال: يا عمرو بن ميمون، قد كنت اظنك من افقه اهل هذه القرية !، تدري ما الجماعة ؟ .

قلت: لا .

---

(1) " الفتاوى19/28 " .

(2) " مسلم2053/4 " .

(3) سبق تخريجه .

قال: إن جمهور الجماعة: الذين فارقوا الجماعة؛ الجماعة: ما وافق الحق وإن كنت وحدك " .

وفي طريق أخرى: " فضرب على فخذي وقال: " ويحك، إن جمهور الناس فارقوا الجماعة، وإن الجماعة: ما وافق طاعة الله عز وجل " .

قال نعيم بن حماد: " يعني إذا فسدت الجماعة: فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ "](1) .

* وقال أبو عيسى الترمذي رحمه الله في سننه: " و تفسير الجماعة عند أهل العلم: هم أهل الفقه والعلم والحديث "(2) .

* وقال الإمام البربهاري رحمه الله: [بَيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته السنة وأوضحها لأصحابه وهم: الجماعة وهم: السواد الأعظم والسواد الأعظم: الحق وأهله](3) .

قال ابن حبان رحمه الله:

[الأمر بالجماعة بلفظ العموم والمراد منه الخاص لأن الجماعة: هي إجماع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن لزم ما كانوا عليه وشذّ عن من بعدهم: لم يكن بشاق للجماعة ولا مفارق لها ومن شذّ عنهم وتبع من بعدهم: كان شاقاً للجماعة والجماعة بعد الصحابة: هم أقوام اجتمع فيهم الدين والعقل والعلم ولزموا ترك الهوى فيما هم فيه وإن قلت أعدادهم لا أوباش الناس ورعاعهم وإن كثروا](4) .

ـ والأقوال في هذا المعنى: كثيرة، وهذا ظاهر في أن الاجتماع المأمور به: هو الاجتماع على الحق بغض النظر عن العدد والعدة، وأن الاجتماع على غير الحق: مردود بل لا قيمة له وإن كثر أهله وأنصارُه .

وقد عقد الإمام البخاري رحمه الله باباً في كتاب " الاعتصام " من صحيحه، فقال: " باب: قول الله تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا }، وما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم "(5) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: [والوسط: العدل .. لأن أهل الجهل ليسوا عُدولاً، وكذلك أهل البدع، فعُرف أن المراد بالوصف المذكور: أهل السنة والجماعة، وهم أهل العلم الشرعي، ومَن سواهم ولو نسب إلى العلم: فهي نسبة صورية لا حقيقية](6) .

وقد ساق الإمام البخاري رحمه الله هذه الاية: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } في كتابه " خلق افعال العباد "،

---

(1) " الباعث على إنكار البدع والحوادث/22 " .

(2) " سنن الترمذي4/466 " .

(3) " شرح السنة/22 " .

(4) " صحيح ابن حبان14/127 " .

(5) " صحيح البخاري6/2675 " .

(6) " فتح الباري13/316 " .

ثم قال: [هم الطائفة التي قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تزال طائفة من أمَّتي ظاهرين على الحق لا يضرُّهم مَن خذلهم "][1] .

(1) "خلق افعال العباد/60 " .

الباب الثاني

الصــفة الثانيــة

آنهــا علــى الحــق

ـ ـ تمهيـد:

* عن ثوبان_رضي الله عنه_, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين **على الحق** لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك "(1) .

* وعن جابر بن عبد الله_ رضي الله عنه_, قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون **على الحق** ظاهرين إلى يوم القيامة "(2) .

* وعن عمران بن حصين_رضي الله عنه_, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون **على الحق**، ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال "(3) .

فصرّحت الأحاديث بأن هذه الطائفة المنصورة " على الحق ", ووصف الطائفة المنصورة بأنها على الحق: هو وصف مجمل(4) لحال هذه الطائفة، فهي على الحق في دينها: علماً وعملاً، وهذا الوصف ممّا يَقضي لها على مخالفيها، ومن ثم: لا يضرها من خالفها، ولا من خذلها .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم في وصف الطائفة المنصورة: " على الحق ": دلالة على شدة تمسك هذه الطائفة بـــ" الحق ", فهي غير متذبذبة في " الحق " بل متمكنة منه, مستقرة عليه, ثابتة فيه, وهو ما يفيده لفظ: " على ", وتؤكده باقي صفات الطائفة المنصورة .

ـــ وقد جعل الله سبحانه وتعالى فلاح العباد ونجاتهم في الدنيا, والآخرة محصوراً في معرفة الحق، والعمل به، وبقدر نصيب العبد من تحقيق هذين الأصلين_معرفة الحق، والعمل به_: يكون نصيبه من الفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة، وبقدر بعده عن تحقيق هذين الأصلين: يكون نصيبه من الخسران في الدنيا, والآخرة إذ الخسران: عدم معرفة الحق أو عدم العمل به .

ولذا جعل تعالى_ بمنه، وكرمه، ولطيف صنعه_: ديدن المؤمنين، وشغلهم الشاغل طلبَ تحقيق هذين الأصلين فيما يرددونه في اليوم والليلة عدة مرات من طلب هداية الصراط المستقيم كما في سورة الفاتحة إذ الصراط المستقيم بأجمع قول وأدقه: معرفة الحق، والعمل به .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_ في تفسيره لأم الكتاب:

[قال تعالى: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ }, أي: دلنا, وأرشدنا ووفقنا إلى الصراط المستقيم, وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله, وإلى جنته, **وهو: معرفة الحق, والعمل به**, فاهدنا إلى الصراط, واهدنا في الصراط: فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام, وترك ما سواه من الاديان والهداية في الصراط: تشمل

---

(1) " مسلم1523/3 " .

(2) " مسلم137/1, 1524/3 " .

(3) " المستدرك81/2, 497/4 ", " ابو داود4/3 ", " احمد437/4 ", " المعجم الكبير116/18 ", " شرح اصول اعتقاد اهل السنة111/1".

(4) ومعلوم ان هذا الوصف يستلزم ما ذكرناه، وما سنذكره_ إن شاء الله_ من صفات عن الطائفة المنصورة بل ويستلزم من الصفات غير ما ذكرنا في هذه الرسالة ممّا يدخل في وصفها بانها " على الحق " .

الهداية لجميع التفاصيل الدينية علماً وعملاً .

فهذا الدعاء: من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد، ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته لضرورته إلى ذلك .

وهذا الصراط المستقيم: هو {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، {غَيْرِ } صراط { الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ } الذين **عرفوا الحق وتركوه** كاليهود ونحوهم، و { **لا** } صراط { الضَّالِّينَ} الذين **تركوا الحق على جهل، وضلال** كالنصارى، ونحوهم .

ثم قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_:

فهذه السورة على إيجازها قد احتوت على ما لم تحتو عليه سورة من سور القرآن ...

بل تضمنت الرد على جميع أهل البدع والضلال في قوله: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } لأنه معرفة الحق، والعمل به، وكل مبتدع، وضال: فهو مخالف لذلك](1) .

ـ فعُلم أن معرفة الحق، والعمل به: هو الصراط المستقيم، وهو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين .

وأن ترك العمل بالحق بعد معرفته: صراط المغضوب عليهم .

وأن ترك العلم بالحق، والعمل على جهل: صراط الضالين .

قال ابن كثير_ رحمه الله_: [صراط { المغضوب عليهم } وهم الذين فسدت إرادتهم: فعلموا الحق، وعدلوا عنه، { ولا } صراط { الضالين }: وهم الذين فقدوا العلم، فهم هائمون في الضلالة، لا يهتدون إلى الحق، وأكد الكلام بـ { لا }: ليدل على أن ثم مسلكين، قاصدين، وهما: طريقة اليهود، والنصارى ...

إنما جيء بـ { لا }: لتأكيد النفي لئلا يتوهم أنه معطوف على { الذين أنعمت عليهم }، والفرق بين الطريقتين ليجتنب كل واحد منهما، فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على: **العلم بالحق، والعمل به**، واليهود: فقدوا العمل، والنصارى: فقدوا العلم، ولهذا كان الغضب لليهود، والضلال للنصارى لأن من علم وترك: استحق الغضب بخلاف من لم يعلم، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقه لأنهم لم يأتوا الامر من بابه وهو اتباع الحق: ضلوا .

وكل من اليهود والنصارى: ضال، مغضوب عليه لكن اخص اوصاف اليهود: الغضب كما قال تعالى عنهم: {من لعنه الله وغضب عليه }، واخص اوصاف النصارى: الضلال كما قال تعالى عنهم: { قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل }](2) .

* وقال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: 108] .

---

(1) "تفسير السعدي/5 " .

(2) "تفسير ابن كثير30/1 " .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: { قُلْ } للناس: { هَذِهِ سَبِيلِي}،أي: طريقي التي أدعو إليها وهي السبيل الموصلة إلى الله، وإلى دار كرامته **المتضمنة: للعلم بالحق، والعمل به**][1] .

* وقال تعالى في وصف عباده المصطفين، الأخيار: { والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً } [الفرقان: 73] .

قال قتادة_ رحمه الله_: " يقول: لم يصموا عن الحق، ولم يعموا فيه، فهم_ والله_ قومٌ عقلوا عن الحق، وانتفعوا بما سمعوا من كتابه "[2] .

* وقال تعالى: {والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر } [العصر: 1_3] .

فحكم الله تعالى_ وهو خير الحاكمين_ بالخسران لجنس الإنسان، ولم يستثن من هذا الحكم إلا من عرف الحق، وعمل به، وهم: {الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر } .

قال الإمام الشافعي_ رحمه الله_:" لو تدبر الناس هذه السورة: لكفتهم "[3] .

* وقد قال تعالى في ذكر الطائفة المنصورة: {وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون }

[الأعراف: 181] .

قال ابن كثير_ رحمه الله_: [يقول تعالى: { وممن خلقنا }، أي: بعض الأمم { أمة }: قائمة بالحق قولاً، وعملاً، { يهدون بالحق }: يقولونه، ويدعون إليه، { وبه يعدلون }: يعملون، ويقضون ...

وفي الصحيحين عن معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ' لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة ' .

وفي رواية: ' حتى يأتي أمر الله، وهم على ذلك '، وفي رواية: ' وهم بالشام "][4] .

وقال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [أي: ومن جملة من خلقنا، أمة فاضلة، كاملة في نفسها، مكملة لغيرها: يهدون انفسهم وغيرهم بالحق، فيعلمون الحق، ويعملون به، ويعلمونه، ويدعون إليه وإلى العمل به .

{ وَبِهِ يَعْدِلُونَ } بين الناس في احكامهم إذا حكموا في الاموال، والدماء، والحقوق، والمقالات وغير ذلك .

وهؤلاء ائمة الهدى، ومصابيح الدجا وهم الذين انعم الله عليهم بالإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر .

---

(1) " تفسير السعدي/282 " .

(2) "تفسير ابن كثير3/330 " .

(3) " المرجع السابق4/548 " .

(4) "نفس المرجع2/270 " .

وهم الصديقون الذين مرتبتهم تلي مرتبة الرسالة، وهم في أنفسهم: مراتب متفاوتة: كلٌ بحسب حاله وعلو منزلته، فسبحان من يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم][1] .

فتبين بما سبق أن النجاة في الدنيا, والآخرة: محصورة في معرفة الحق ثم العمل به .

ـــ والحق: هو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وبلّغه عن ربه سبحانه وتعالى: قولاً، وفعلاً، واعتقاداً .

* قال الله تعالى: { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ } [البقرة: 119] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_ في تفسيره لهذه الآية الكريمة:

[فهذا مشتمل على الآيات التي جاء بها, وهي ترجع إلى ثلاثة أمور! الأول: في نفس إرساله, والثاني: في سيرته وهديه ودله, والثالث: في معرفة ما جاء به من القرآن والسنة, فالأول والثاني: قد دخلا في قوله: { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ }, والثالث في قوله: { بِالْحَقِّ } ...

وأما الثالث: فهو معرفة ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الشرع العظيم, والقرآن الكريم المشتمل على الإخبارات الصادقة, والأوامر الحسنة, والنهي عن كل قبيح, والمعجزات الباهرة][2] .

* وقال تعالى_ أيضاً_: { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ } [فاطر: 24] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [أي: مجرد إرسالنا إياك بالحق ...,وكذلك ما بعثناك به من الدين القويم, والصراط المستقيم: حق لا باطل, وكذلك ما أرسلناك به من هذا القرآن العظيم, وما اشتمل عليه من الذكر الحكيم: حق, وصدق][3] .

* وقال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ } [محمد: 2_ 3] .

قال السعدي_ رحمه الله_: [{ اتبعوا الحق } الذي هو الصدق, واليقين, وما اشتمل عليه هذا القران العظيم...][4].

فـ" الحق " الذي عليه الطائفة المنصورة: هو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عند ربه من الكتاب والسنة: قولاً، وفعلاً، واعتقاداً، وهو ما كان عليه صلى الله عليه وسلم واصحابه .

قال ابن القيم_ رحمه الله_: [والحق: هو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم, واصحابه, وما جاء به

---

(1) "تفسير السعدي/207 " .

(2) "تفسير السعدي/24 " .

(3) "تفسير السعدي/501 " .

(4) "تفسير السعدي/577 " .

علماً, وعملاً][1] .

ـ ـ (**معالم الحق عند الطائفة المنصورة**) .

ولهذا " الحق " عند أهل الطائفة المنصورة معالم يعصمهم تلمسُها, والتمسُك بها_ بإذن الله_ من الوقوع في الباطل قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_: [لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات، ليتكلم بعلم وعدل ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم][2] .

وأهل الطائفة المنصورة من أبعد الناس عن الفساد، ومن ثم: لديهم أصول كلية يعرفون بها الحق: فلا يختلط بضده، وهم في ذلك يَردّون إلي تلك الأصول: المسائلَ، والوقائع، والأحداث، وغير ذلك من صور الجزئيات: فيهتدون، ولا يضلون، وينأون_ بفضل الله ورحمته_ عن الجهل، والكذب، والظلم .

ومن تلك الأصول الكلية عند أهل الطائفة المنصورة: **معالم الحق عندهم** إذ للحق عندهم معالم كما ذكرنا: يعصمهم تلمسُها, والتمسكُ بها_ بإذن الله_ من الوقوع في الباطل .

وهذا الباب معقود_ أساساً_ للكلام عن أهم هذه المعالم, وهو ما سوف نتناوله_ إن شاء الله_ في الفصول التالية, فنقول:

---

(1) "مدارج السالكين58/1 " .

(2) " الفتاوى203/19 " .

الفصل الأول

المَعْلَمُ الأول

الحق واضح ظاهر

فالحق عند الطائفة المنصورة: أبلج، أي: "ظاهر، واضح"، والباطل: لجلج، أي: "مختلط"، وهذا لمن أتى الحقَ من بابه، وطلبه من مظانه، واتبع سبيل المؤمنين، فالحق في مجمله: ظاهر غاية في الظهور والوضوح، خاصة: مسائله الكبار التي هي: عماد الإسلام وعصامه، والتي يحتاج إليه الناس ضرورة: فلا قيام لمصالح دينهم ودنياهم إلا بها، فهذه: قد بينها الشرع وأوضحها بأتم بيان، وأظهر حجة وبرهان، وقد قيل: "ما أبين الحق لذي عينين "(1) .

ـــــ وكون الحق: واضحاً، ظاهراً عند الطائفة المنصورة أمر مقرر من وجوه:

ـــ الوجه الأول:

أن الله سبحانه وتعالى بين أنه قد أقام حجته على عباده بالرسل، فمن بلغته الحجة الرسالية: فقد أقيمت عليه الحجة، وانقطع في حقه العذر، والآيات في هذا المعنى كثيرة، ومنها:

* قال تعالى: { رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً } [النساء: 165] .

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ: [{ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل }: يقول أرسلت رسلي إلى عبادي مبشرين ومنذرين لئلا يحتج من كفر بي، وعَبَدَ الأنداد من دوني أو ضلّ عن سبيلي بأن يقول إن أردت عقابه: { لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع اياتك من قبل أن نذل ونخزى }: فقطع حجة كل مبطل الحد في توحيده, وخالف أمره بجميع معاني الحجج القاطعة عذره إعذاراً منه بذلك إليهم لتكون لله الحجة البالغة عليهم، وعلى جميع خلقه](2) .

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: [قوله: { لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً }، اي: انه تعالى انزل كتبه، وارسل رسله بالبشارة والنذارة, وبين ما يحبه ويرضاه ممّا يكرهه ويأباه لئلا يبقى لمعتذر عذر كما قال تعالى: { ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت إلينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى }, وكذا قوله: { ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم } الاية, وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب إليه المدح من الله عز وجل من اجل ذلك مدح نفسه, **ولا احد**

---

(1) "حلية الاولياء8/102 " .

(2) "تفسير الطبري6/30 " .

أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين "[1]، وفي لفظ آخر: " **من أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه "**[2]][3] .

* وقال تعالى: { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ الله وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ } [الأنعام: 157] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ }، أي: أنزلنا إليكم هذا الكتاب المبارك قطعاً لحجتكم، وخشية { أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا }، أي: اليهود، والنصارى، { وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ }، أي: تقولون: لم تنزل علينا كتاباً، والكتب التي أنزلتها على الطائفتين ليس لنا بها علم، ولا معرفة، فأنزلنا إليكم كتاباً لم ينزل من السماء كتاب: أجمع، ولا أوضح، ولا أبين منه .

{ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ }، أي: إما أن تعتذروا بعدم وصول أصل الهداية إليكم، وإما أن تعتذروا بعدم كمالها وتمامها، فحصل لكم بكتابكم: أصل الهداية، وكمالها، ولهذا قال: { فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ } وهذا اسم جنس: يدخل فيه كل ما يبين الحق، { وَهُدًى } من الضلالة، { وَرَحْمَةٌ }، أي: سعادة لكم في دينكم ودنياكم .

فهذا يوجب لكم الانقياد لأحكامه، والإيمان بأخباره، وأن من لم يرفع به رأساً، وكذب به: فإنه أظلم الظالمين، ولهذا قال: { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ الله وَصَدَفَ عَنْهَا }، أي: أعرض، ونأى بجانبه، { سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ}، الذي يسوء صاحبه، ويشق عليه { بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ } لأنفسهم ولغيرهم: جزاء لهم على عملهم السيئ، { وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } .

وفي هذه الآيات دليل على أن علم القرآن: أجل العلوم، وأبركها، وأوسعها، وأنه به تحصل الهداية إلى الصراط المستقيم هداية تامة لا يحتاج معها إلى تخرص المتكلفين، ولا إلى أفكار المتفلسفين، ولا لغير ذلك من علوم الأولين والآخرين][4] .

---

(1) " البخاري2698/θ " .

(2) "مسلم2114/4 " .

(3) "تفسير ابن كثير589/1 " .

(4) "تفسير السعدي/182 " .

ـ الوجه الثاني:

الوجه الثاني الذي يتقرر به أن الحق عند أهل الطائفة المنصورة في ذاته: واضح, ظاهر لا لبس فيه, ولا خفاء: أن الله سبحانه وتعالى قد وصف رسالته التي أوحاها لنبيه صلى الله عليه وسلم بوصف دال على كمال الظهور والوضوح، فوصفها بأنها: **نور**:

* قال تعالى: { أوَ مَن كان مَيْتاً فأحييناه وجعلنا له **نوراً** يمشي به في الناس كمن مَثَلُه في الظلمات ليس بخارج منها، كذلك زُيِّن للكافرين ما كانوا يعملون } [الأنعام: 122] .

قال ابن كثير_ رحمه الله_: [هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتاً في الضلالة: هالكاً, حائراً, فأحياه الله, أي: أحيا قلبه بالإيمان, وهداه له, ووفقه لاتباع رسله, { وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس }, أي: يهتدي كيف يسلك, وكيف يتصرف به, والنور هو القرآن كما رواه العوفي, وابن أبي طلحة عن ابن عباس, وقال السدي: الإسلام, والكل صحيح, { كمن مثله في الظلمات }, **أي الجهالات, والأهواء, والضلالات المتفرقة**, { ليس بخارج منها }, أي: لا يهتدي إلى منفذ, ولا مخلص بما هو فيه ...

كما قال تعالى: { الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون }, وقال تعالى: { أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشى سوياً على صراط مستقيم }, وقال تعالى: { مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون }, وقال تعالى: { وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور إن أنت إلا نذير }, والآيات في هذا كثيرة][1] .

* وقال تعالى: { وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا، وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم } [الشورى: 52] .

* وتأمّل قوله تعالى: { يا أيها الناس قد جاءكم **برهان** من ربكم وأنزلنا إليكم **نوراً مبيناً** } [النساء: 174] .

فلم يكتف سبحانه وتعالى بوصف ما اوحاه لنبيه صلى الله عليه وسلم بأنه: **نور** رغم كفاية هذا الوصف في الدلالة على المراد من الوضوح والظهور، وكونه النجاة المطلقة لمن تعلق به بل والدلالة على الكمال من ذلك كله حتى وصف سبحانه وتعالى هذا النور_ ايضاً_ بأنه نور: **مبين**: { وانزلنا إليكم **نوراً مبيناً** }، فهو: **نور: مبين**، وهذا غاية في الدلالة على كون هذا الوحي قد حاز قصب السبق، وبلغ شأواً رفيعاً، ومنزلة سامقة لا تُدانى في الوضوح والظهور دلالةً على المطالب العالية التي جاء لتحقيقها في الدنيا والاخرة، هذا فضلاً عمّا في قوله تعالى: {برهان من ربكم }من دلالة على ذلك ايضاً .

قال ابن جرير_ رحمه الله_ في تفسيره لهذه الاية الكريمة: [يعني جل ثناؤه بقوله: { يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم }: يا ايها الناس من جميع اصناف الملل: يهودها, ونصاراها, ومشركيها الذين قصّ الله جل ثناؤه قصصهم في هذه السورة: { قد جاءكم برهان من ربكم }, يقول: قد جاءتكم حجة من الله تبرهن لكم

---

(1) "تفسير ابن كثير 173/2" .

بطول ما أنتم عليه مقيمون من أديانكم ومللكم، وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي جعله الله عليكم حجة: قطع بها عذركم، وأبلغ إليكم في المعذرة بإرساله إليكم مع تعريفه إياكم صحة نبوته، وتحقيق رسالته .

{ وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً }، يقول: وأنزلنا إليكم معه { نوراً مبيناً }، يعني: **يبين لكم المحجة الواضحة، والسبل الهادية إلى ما فيه لكم النجاة من عذاب الله، وأليم عقابه إن سلكتموها واستنرتم بضوئه**، وذلك النور المبين: هو القرآن الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم](1) .

وقال القرطبي_ رحمه الله_: [قوله تعالى: { يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم }، يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم عن الثوري، وسماه: برهاناً: لأن معه البرهان، وهو المعجزة، وقال مجاهد: البرهان ههنا: الحجة، والمعنى متقارب، فإن المعجزات: حجته صلى الله عليه وسلم، والنور المنزل: هو القرآن عن الحسن، وسماه: نوراً: **لأن به تتبين الأحكام، ويهتدى به من الضلالة، فهو نور مبين، أي: واضح، بين**](2) .

_ قلت: قوله تعالى: { برهان من ربكم }: أعم ممّا ذكر سابقاً إذ هو شامل لكل ما أقام الله به الحجة، وقطع به العذر .

قال ابن كثير_ رحمه الله_ في تفسيره لهذه الآية: [يقول تعالى مخاطباً جميع الناس، ومخبراً بأنه قد جاءهم منه برهان عظيم، وهو الدليل القاطع للعذر، والحجة المزيلة للشبه، ولهذا قال: { وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً }، أي: **ضياء واضحاً على الحق**، قال ابن جريج وغيره: هو القرآن](3) .

وقال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [يمتنّ تعالى على سائر الناس بما أوصل إليهم من البراهين القاطعة، والأنوار الساطعة، ويقيم عليهم الحجة، ويوضح لهم المحجة، فقال: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ }، أي: حجج قاطعة على الحق: تبينه وتوضحه، وتبين ضدّه، وهذا يشمل الأدلة العقلية والنقلية، الآيات الأفقية والنفسية: { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ }، وفي قوله: { مِنْ رَبِّكُمْ }: ما يدل على شرف هذا البرهان وعظمته حيث كان من ربكم الذي رباكم التربية الدينية والدنيوية، فمن تربيته لكم التي يحمد عليها ويشكر أن أوصل إليكم البينات ليهديكم إلى الصراط المستقيم، والوصول إلى جنات النعيم .

{ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً }، وهو: هذا القران العظيم الذي قد اشتمل على علوم الاولين والاخرين، والاخبار الصادقة النافعة، والأمر بكل عدل وإحسان وخير، والنهي عن كل ظلم وشر، فالناس في ظلمة إن لم يستضيئوا بأنواره، وفي شقاء عظيم إن لم يقتبسوا من خيره](4) .

---

(1) "تفسير الطبري39/6 " .

(2) "تفسير القرطبي6 /27 " .

(3) " تفسير ابن كثير593/1 " .

(4) "تفسير السعدي/132 " .

ـــ الوجه الثالث:

الوجه الثالث من الوجوه التي يتقرر بها أن الحق عند أهل الطائفة المنصورة في ذاته: واضح ظاهر لا لبس فيه, ولا خفاء: هو أن الله سبحانه وتعالى وصف كتابه_ بالإضافة لما سبق_ بأنه: هدى، وشفاء، ومنير, وغير ذلك من الأوصاف الدالة كلها على أن هذا الكتاب قد أرشد إلى الحق وبيّنه في جملة المطالب التي جاء لتحقيقها بأوضح حجة، وأظهر برهان .

* قال تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ } [البقرة: 2] .

قال ابن جرير_ رحمه الله_: [و"الهدى " في هذا الموضع مصدر من قولك هديت فلاناً الطريقَ إذا أرشدته إليه, ودللته عليه, وبينته له, أهديه: هدى, وهداية](1) .

وقال القرطبي_ رحمه الله_: [الهدى فى كلام العرب معناه: الرشد, والبيان، أى: فيه كشف لأهل المعرفة ورشد, وزيادة بيان وهدى](2).

وقال الشيخ السعدي_ رحمه الله وطيب ثراه_: [قوله: { ذَلِكَ الْكِتَابُ }, أي: هذا الكتاب العظيم الذي هو الكتاب على الحقيقة، المشتمل على ما لم تشتمل عليه كتب المتقدمين من العلم العظيم, والحق المبين، فهو: {لا رَيْبَ فِيهِ }, ولا شك بوجه من الوجوه, ونفي الريب عنه: يستلزم ضده إذ ضد الريب والشك: اليقين, فهذا الكتاب مشتمل على اليقين المزيل للشك والريب ...

و" الهدى ": ما تحصل به الهداية من الضلالة والشبه, وما به الهداية إلى سلوك الطرق النافعة وقال: { هُدىً}, وحذف المعمول, فلم يقل: هدى للمصلحة الفلانية, ولا للشيء الفلاني: لإرادة العموم, وأنه هدى لجميع مصالح الدارين, فهو مرشد للعباد في المسائل الأصولية والفروعية, ومبين للحق من الباطل, والصحيح من الضعيف, ومبين لهم كيف يسلكون الطرق النافعة لهم: في دنياهم وآخراهم](3).

* وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ } [يونس: 57] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [يقول تعالى مرغباً الخلق بي الإقبال على هذا الكتاب الكريم بذكر أوصافه الحسنة, الضرورية للعباد, فقال: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ }, أي: تعظكم, وتنذركم عن الاعمال الموجبة لسخط الله, المقتضية لعقابه, وتحذركم عنها ببيان اثارها ومفاسدها, { وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ}, وهو: هذا القران؛ شفاء لما في الصدور من امراض الشهوات الصادة عن الانقياد للشرع, وامراض الشبهات القادحة في العلم اليقيني, فإن ما فيه من المواعظ, والترغيب والترهيب, والوعد والوعيد: ممّا يوجب للعبد الرغبة والرهبة, وإذا وجدت فيه الرغبة في الخير, والرهبة عن الشر, ونمتا على تكرر ما

---

(1) "تفسير الطبري98/1 " .

(2) "تفسير القرطبي160/1 " .

(3) "تفسير السعدي/6 " .

يرد إليها من معاني القرآن: أوجب ذلك تقديم مراد الله على مراد النفس، وصار ما يرضي الله: أحب إلى العبد من شهوة نفسه، وكذلك ما فيه من البراهين، والأدلة التي صرّفها الله غاية التصريف، وبيّنها أحسن بيان ممّا يزيل الشبه القادحة في الحق، ويصل به القلب إلى أعلى درجات اليقين، وإذا صح القلب من مرضه، ورفل بأثواب العافية: تبعته الجوارح كلها، فإنها تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده .

{ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ }، فالهدى: هو العلم بالحق، والعمل به، والرحمة: هي ما يحصل من الخير والإحسان، والثواب العاجل والآجل لمن اهتدى به، فالهدى: أجل الوسائل، والرحمة: أكمل المقاصد والرغائب، ولكن لا يهتدي به، ولا يكون رحمة إلا في حق المؤمنين، وإذا حصل الهدى، وحلت الرحمة الناشئة عنه: حصلت السعادة والفلاح، والربح والنجاح، والفرح والسرور](1) .

ــ وقد وصف سبحانه وتعالى كتابه_ القرآن الكريم_ الذي أنزله هادياً، ومرشداً، ومخرجاً من الظلمات إلى النور، ومفرّقاً بين الحق والباطل في آيات كثيرة بأنه: **مبين**، أي: واضح، ظاهر، غاية في الوضوح والظهور، ومن ذلك .

* قال تعالى: { قد جاءكم من الله **نور وكتاب مبين** يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم } [المائدة: 15_16] .

قال ابن كثير_ رحمه الله_: [أخبر تعالى عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم، فقال: { قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام }، أي: طريق النجاة والسلامة، ومناهج الإستقامة، { ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم }، أي: ينجيهم من المهالك، ويوضح لهم أبين المسالك، فيصرف عنهم المحذور، ويحصل لهم أحب الأمور، وينفي عنهم الضلالة، ويرشدهم إلى أقوم حالة](2).

* وقال تعالى: { الر تلك ايات **الكتاب المبين** إنا أنزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القران وإن كنت من قبله لمن الغافلين } [يوسف: 1_ 3] .

عن مجاهد_ رحمه الله_، قال: " { تلك ايات الكتاب المبين }، بيّن حلاله وحرامه " .

وعن قتادة_ رحمه الله_، قال: " أيّ_ والله_ لمبين: تركيبه هداه ورشده " .

وعنه_ أيضاً_، قال: " { تلك ايات الكتاب المبين } بين الله رشده وهداه "(3) .

قال القرطبي_ رحمه الله_: [يعني بالكتاب المبين: القران المبين حلاله وحرامه وحدوده واحكامه، وهداه،

---

(1) " تفسير السعدي/250 " .

(2) " ابن كثير 35/2 " .

(3) " تفسير الطبري 149/12 " .

وبركته ...][1] .

وقال ابن كثير_ رحمه الله_: [قوله: { تلك آيات الكتاب }, أى: هذه آيات الكتاب وهو القرآن { المبين }, أي: الواضح الجلي الذي يفصح عن الأشياء المبهمة ويفسرها ويبينها ...][2] .

وفي "تفسير الجلالين ": [{ المبين }: المظهر للحق من الباطل][3] .

* وقال تعالى: {وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين **بلسان عربي مبين** } [الشعراء: 194_195] .

قال ابن كثير_ رحمه الله_: [يقول تعالى مخبراً عن الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم { وإنه }، أي: القرآن الذي تقدم ذكره في أول السورة في قوله: { وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث } الآية: {لتنزيل رب العالمين }، أي: أنزله الله عليك وأوحاه اليك، { نزل به الروح الأمين }، وهو جبريل عليه السلام ...

وقوله تعالى: { بلسان عربي مبين }، أي: هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أنزلناه باللسان العربي، الفصيح، الكامل، الشامل ليكون بيناً، واضحاً، ظاهراً، قاطعاً للعذر، مقيماً للحجة، دليلاً إلى المحجة][4] .

* وقال تعالى: {طس تلك آيات القرآن وكتاب **مبين** هدى وبشرى للمؤمنين } [النمل: 1_ 2] .

قال ابن جرير_ رحمه الله_: [يقول: هذه آيات القرآن بيانٌ من الله بيّن به طريق الحق، وسبيل السلام، {وبشرى للمؤمنين }، يقول: وبشارة لمن آمن به، وصدق بما أنزل فيه بالفوز العظيم في المعاد][5] .

وقال القرطبي_ رحمه الله_: [وصفه بالمبين لأنه بين فيه أمره ونهيه، وحلاله وحرامه، ووعده ووعيده ...

قوله تعالى: { هدى وبشرى للمؤمنين }، هدى في موضع نصب على الحال من الكتاب، أي: تلك آيات الكتاب هادية، ومبشرة][6] .

* وقال تعالى في أول الحجر: { الر تلك ايات الكتاب **وقران مبين** } .

* وقال تعالى: { وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا **ذكر وقران مبين** } .

ـــ والايات في هذا المعنى كثيرة، وقد قال تعالى_ كذلك_: { ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر }

---

(1) "تفسير القرطبي9/118 " .

(2) " ابن كثير2/467 " .

(3) "تفسير الجلالين/302 " .

(4) " ابن كثير3/348 " .

(5) "تفسير الطبري19/131 " .

(6) "تفسير الطبري13/155 " .

[القمر:22] .

وهذه الآية نص في أن الحق الذي يحتاج إليه العباد علماً وعملاً: ميسر، ممّا يفيد أنه: ظاهر، واضح، فالقرآن: أساس الحق، والذكر: يتضمن العلم والعمل .

* وقد قال صلى الله عليه وسلم: " إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد: إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا "(1) .

ولا شك أن من معاني اليسر، ومقتضياته، ولوازمه: الوضوحَ، والظهورَ .

ـــ وقد نفي سبحانه اللبس، والانحراف اللذين يمنعان وضوح الحق وظهوره عن كتابه، فقال تعالى: { وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ **قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** } .

قال ابن كثير_ رحمه الله_: [يقول تعالى: { ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل }، أي: بيّنا للناس فيه بضرب الأمثال {لعلهم يتذكرون }، فإن المثل يقرب المعنى إلى الأذهان ...

وقوله جل وعلا: { قرآنا عربياً غير ذي عوج }، أي: هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه، ولا انحراف، ولا لبس بل هو بيان، ووضوح، وبرهان، وإنما جعله الله تعالى كذلك، وأنزله بذلك {لعلهم يتقون}، أي: يحذرون ما فيه من الوعيد، ويعملون بما فيه من الوعد](2) .

* وقال تعالى_ أيضاً_: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَاً } [الكهف: 1] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [" الحمد ": هو الثناء عليه بصفاته التي هي كلها صفات كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، وأجل نعمه على الإطلاق: إنزاله الكتاب العظيم على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فحمد نفسه، وفي ضمنه: إرشاد العباد ليحمدوه على إرسال الرسول إليهم، وإنزال الكتاب عليهم ثم وصف هذا الكتاب بوصفين مشتملين على أنه الكامل من جميع الوجوه، وهما: نفي العوج عنه، وإثبات أنه مقيم مستقيم](3) .

ـــ الوجه الرابع:

الوجه الرابع من الأوجه الدالة على أن الحق عند أهل الطائفة المنصورة في ذاته: واضح، ظاهر لا لبس فيه، ولا خفاء: هو ان الله سبحانه وتعالى وصف رسوله عليه الصلاة والسلام: بالبلاغ المبين في غير ما اية، ومن ذلك:

* قوله تعالى: {وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } [التغابن: 12] .

قال ابن جرير_ رحمه الله_: [{ فإن توليتم }، يقول: فإن انتم لم تعملوا بما امرناكم به، وتنتهوا عمّا نهيناكم

---

(1) " البخاري23/1 " .

(2) " ابن كثير53/4 " .

(3) " تفسير السعدي/330 " .

عنه، ورجعتم مدبرين عمّا أنتم عليه من الإيمان والتصديق بالله وبرسوله، واتباع ما جاءكم به نبيكم: فاعلموا أنما { على رسولنا البلاغ المبين }، يقول: فاعلموا أنه ليس على من أرسلناه إليكم إلا إبلاغكم الرسالة التي أرسل بها إليكم **مبينة لكم بياناً يوضح لكم سبيل الحق، والطريق الذي أمرتم أن تسلكوه**][1] .

وقال الشيخ السعدي: [{فإن توليتم }، أي: عن طاعة الله، وطاعة رسوله { فإنما على رسولنا البلاغ المبين}، أي: يبلغكم ما أرسل به إليكم بلاغاً بيناً، واضحاً: فتقوم عليكم به الحجة][2] .

* وقال تعالى: { فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين } .

قال ابن جرير_ رحمه الله_: [يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فإن أدبر هؤلاء المشركون يا محمد عمّا أرسلتك به إليهم من الحق فلم يستجيبوا لك، وأعرضوا عنه: فما عليك من لوم، ولا عذل لأنك قد أديت ما عليك في ذلك، إنه ليس عليك إلا إبلاغهم ما أرسلت به، ويعني بقوله: { المبين }: الذي يبين لمن سمعه حتى يفهمه][3] .

* وقال تعالى: { قُلْ أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا **الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** } [النور: 54] .

قال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [وأما الرسول عليه الصلاة والسلام: فوظيفته أن يأمرهم وينهاهم، ولهذا قال: { قُلْ أَطِيعُوا الله وَالرَّسُولَ } فإن امتثلوا: كان حظهم وسعادتهم، وإن { تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ } من الرسالة، وقد أداها، { وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ } من الطاعة ...

{ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا } إلى الصراط المستقيم: قولاً وعملاً، فلا سبيل لكم إلى الهداية إلا بطاعته وبدون ذلك: لا يمكن بل هو محال .

{ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ }، أي: **تبليغكم البين الذي لا يبقي لأحد شكاً ولا شبهة**، وقد فعل صلى الله عليه وسلم، بلغ البلاغ المبين، وإنما الذي يحاسبكم، ويجازيكم: هو الله تعالى، فالرسول: ليس له من الأمر شيء، وقد قام بوظيفته][4].

_ وكون النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ البلاغ المبين: من قطعيات هذا الدين عند أهل اليقين (ويدخل في هذا: كل أمر تلقته الامة عنه صلى الله عليه وسلم من العقائد، والاعمال، والاقوال، والاحكام الشرعية، والمطالب الإلهية .

فبلّغ صلى الله عليه وسلم اكملَ تبليغ، ودعا وانذر، وبشر ويسر، وعلم الجهال الاميين حتى صاروا من

---

(1) "تفسير الطبري7/35: 36 " .

(2) "تفسير السعدي/636: 637 " .

(3) "تفسير الطبري14/157 " .

(4) "تفسير السعدي/411 " .

العلماء الربانيين، وبلغ: بقوله، وفعله، وكتبه، ورسله، فلم يبق خير: إلا دل أمته عليه، ولا شر: إلا حذرها عنه، وشهد له بالتبليغ: أفاضل الأمة من الصحابة فمن بعدهم من أئمة الدين، ورجال المسلمين)[1] .

ـــ الوجه الخامس:

أن الله سبحانه وتعالى وصف دينه بالكمال، والاكتمال, ومقتضى هذا: وضوح وظهور ما يحتاج إليه العباد من الحق الذي يحبه الله ويرضاه: قولاً، وفعلاً، واعتقاداً إذ ذلك: لازم من لوازم كمال الدين وتمامه بل لا يتصور الكمال, والاكتمال بغير هذا .

* قال تعالى: { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا } [المائدة: 3] .

ومما قيل في تفسير هذه الآية ما ذكره الطبري_ رحمه الله_ بقوله:

[قال بعضهم: يعني جل ثناؤه بقوله: { اليوم أكملت لكم دينكم }: اليوم أكملت لكم أيها المؤمنون فرائضي عليكم، وحدودي، وأمري إياكم ونهيي، وحلالي وحرامي، وتنزيلي من ذلك ما أنزلت منه في كتابي، وتبياني ما بينت لكم منه بوحيي على لسان رسولي، والأدلة التي نصبتها لكم على جميع ما بكم الحاجة إليه من أمر دينكم فأتممت لكم جميع ذلك فلا زيادة فيه بعد هذا اليوم][2] .

وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم، وانقطاع الوحي: فهذا المعنى متجه بل لا يصح غيره، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

ولذلك، قال ابن كثير_ رحمه الله_: [هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن: فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو: حق وصدق لا كذب فيه، ولا خلف كما قال تعالى: { وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً }،أي: صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي، فلما أكمل لهم الدين: تمت عليهم النعمة، ولهذا قال تعالى: { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً }، أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه، وبعث به أفضل الرسل الكرام، وأنزل به أشرف كتبه][3] .

وقال الشيخ السعدي_ رحمه الله_: [{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } بتمام النصر، وتكميل الشرائع: الظاهرة والباطنة، الاصول والفروع، ولهذا كان الكتاب والسنة: كافيين كل الكفاية في احكام الدين، واصوله وفروعه، فكل متكلف يزعم انه لا بد للناس في معرفة عقائدهم واحكامهم إلى علوم غير علم الكتاب والسنة من علم الكلام، : ، ، ، .

---

(1) " 149/ " .

(2) " 79/6 " .

(3) " 13/2 " .